دراسات في رسائل النور

تأملات مبتلى في رسالة إلى كل مريض ومبتلى

للإمام بديع الزمان سعيد النورسي

للكاتب والمحاضر

السيد الشيشيني

دار سوزلر للنشر
Sözler PUBLICATIONS

تأملات مبتلى في رسالة
إلى كل مريض ومبتلى

عنوان الكتاب :
تأملات مبتلى في رسالة
إلى كل مريض ومبتلى

الكاتب :
السيد الشيشيني

الترقيم الدولي: ٢-٠٤٢-٧٠٨-٩٧٧-٩٧٨
رقم الإيداع : ٢٠١٥ / ٢٠٥٥٠
الطبعة: الأولى (٢٠١٥)
حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشر :
دار سوزلر للنشر

العنوان :
٣٠ شارع جعفر الصادق
الحي السابع- مدينة نصر- القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفاكس: ٢٣٨١٢٠٩٨ (٢٠٢)+

TITLE :
TAAMMULAT MUBTALA FI RISALAH
ILA KULLI MARID WA MUBTALA

AUTHOR :
AL SAYYED AL SHESHENY

ISBN : 978-977-708-042-2
ARCHIVE NO: 2015 / 20550
EDITION: FIRST (2015)
ALL RIGHTS RESERVED

PUBLISHER :
SÖZLER PUBLICATIONS

ADDRESS :
30 Gafar El-Sadek St.
7th Nasr City Cairo
EGYPT
Tel&Fax: +(202) 23812098

www.sozleregypt.com

e-mail: darsozler@gmail.com

دراسات في رسائل النور

تأملات مبتلى في رسالة
إلى كل مريض ومبتلى

(لبديع الزمان سعيد النورسي)

للكاتب والمحاضر

السيد الشيشيني

خبير التنمية البشرية والعلاج النفسي

دار سوزلر للنشر

Sözler

PUBLICATIONS

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

ما أجمل أن نعرف مفاتيح الحياة، وما أجمل أن نستخدم تلك المفاتيح لنجعل كل الأبواب مفتوحة، فغالبية الناس تجد نفسها خلال مشوارها في سدود وحواجز وعوائق وأبواب مقفلة، فالغالبية تشتكي من ذلك، والبعض يعيشون انتصارات يعقبها انتصارات ونجاح، فليست المعرفة وحدها كافية، فالمحاولات تعد أيضًا تجارب، ومهما تكرر الفشل فلابد من أن يعقبه نجاح فبالرغم من التطور الكبير والأبحاث المستمرة في مجال الطب النفسي اليوم فإننا نرى أن حالات الاكتئاب والأمراض النفسية تزداد يومًا بعد يوم، بل وتصل بعض الحالات إلى الرغبة في التخلص من حياتهم بالانتحار، إذًا أين هو التقدم والتطور العلمي في مجال الطب النفسي ؟

يقول الأستاذ فلاح الجوفي « رئيس مجلس إدارة إحدى الشركات بألمانيا » حينما نعود بذاكرتنا إلى السنوات الماضية، كنا لا نجد تلك الأمراض بهذا الشكل برغم صعوبة الحياة وقساوتها، ولو نتطلع بصدق إلى الأسباب، فإننا سنجد أن الارتباط الروحي والاعتقاد بأن الله هو الشافي وهو المعافي كان يمثل النسبة الكبرى للعلاج ويبقى الدواء سبب ثانٍ للعلاج والشفاء، وهذا ما يثبته علم

النفس أيضا اليوم ، بأن المريض المتفائل والذي يزرع في نفسه ألأمل ويعيش بمعنويات مرتفعة يتمكن من الشفاء في وقت أبكر ممن يعيشون لحظات اليائس.

نعم لقد ظل الأمل بابًا من أهم أبواب الشفاء للمرضى بحيث أن الأمل يقوي المناعة ويساعد على الشفاء، ولذلك ظل الأمل مدار أبحاث كثيرة في الطب النفسي خلال القرن الماضي.

ولم يصبح الطب قاصرًا على جراحة أو دواء بل صار الشق النفسي والروحي جزءًا أصيلًا لا يتجزأ من العلاج أملًا في الشفاء

والأمل إذا اقترن بالإيمان العميق والدعاء العريض والثقة في الله عز وجل زادت قوته أضعافا مضاعفة وصار الشفاء قريبًا بإذن الله والأدلة على ذلك كثيرة في القرآن والسنة بدءًا من قصة نبي الله أيوب عليه السلام الذي نـادى ربه ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣) إلى المسيح عيسى ابن مريم والذي كان يبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله كذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي أعاد عين علي بن أبي طالب بعد أن رمدت فعادت أقوى من ذي قبل إلى أم البخاري التي دعت لإبنها الذي فقد بصره وهو دون العاشرة فرد الله إليه

بصره بدعاء أمه وبشارة خليل الله إبراهيم عليه السلام لها في المنام وغلام أصحاب الأخدود الذي دعا لجليس الملك فرد الله عليه بصره وإلى الإمام النورسي الذي دعا لعمة سليمان فرد الله عليها بصرها قبل موتها بأربعين يومًا كما بيّن صاحب هذا الكتاب في جلسته الخاصة مع الإمام.

وفي الطب الحديث وصل الأطباء عامة والأطباء النفسيون خاصة إلى أهمية الأمل والإيمان والثقة في الله في عملية الشفاء الجسدي والنفسي على حدٍ سواء حتى قال بورنست أدلف « أستاذ التشريع والجراحة في الستينات من القرن العشرين » إن العلاج الخالي من النواحي الإيمانية لا يمثل إلا ٥٠ ٪ من العلاج وينبغي أن تقوم الفلسفة الطبية على أساس اقتران الإيمان مع العلاج حتى يتم الشفاء على أكمل وجه.

ويقول الأستاذ فلاح الجوفي كم كانت تلك الوصفات الدوائية للإمام سعيد النورسي ذات معنى كبير لي، إذ رأيت فيها اختيار الوصفات الدوائية باستخدام التأهب النفسي للمريض التى يحثه على الالتزام بها ، فهو نابع من المعرفة والعلم والتجارب، هكذا استطاع في ذلك الزمان العصيب، والذي عاش هو أيضا فيه حياة صعبة أن يستخلص للعالم رؤية غائبة برغم وضوحها للجميع.

ما يقدمه لنا الأستاذ سيد الشيشيني الآن في هذا البحث ماهو إلا مزيج متنوع من الأساليب النافعة الناتجة عن أبحاث وتجارب مختلفة تلفت النظر إلى مجهود ملموس من ذوي المعرفة والعلم والخبرة ، لنخرج بانطباع جميل وهو أن هذا البحث المتواضع قد خرج بنجاح من واقع تراكم الخبرات والتجارب والمعرفة في مجال العلاج النفسي.

ويقول الدكتور أشرف صبري « استشاري الطب النفسي بجمهورية مصر العربية » لقد عملت في الطب النفسي والعلاج النفسي قرابة ٣٠ عام إن كتابه هذا يضيف الكثير إلى المكتبة الإنسانية في وقت هي أمس الحاجة إلى هذة النوعية المتميزة من الكتابات والفيوضات التي تجمع بين العلم والطب والعلاج والإيمان.

ويضيف الدكتور ممدوح الـدوسري « المستشار الأسري والتربوي بالمملكة العربية السعودية » إن هذا العمل يساعد على تحسين العلاقات الأسريـة بما فيه من المكاشفات السلوكية تجاه الآباء والأبناء والمرضى والممرضين والأطباء بل وأخلاق العباد مع الله فضلًا عن تميز البحث في الأسلوب حيث كتبه الأستاذ سيد بإحترافية عالية وإبداع ملحوظ في إختيار العناوين وتناغم وتسلسل رائع في ترتيب الأفكار.

وخلاصة القول إن الأستاذ السيد الشيشيني يبحر بنا في رحاب الأمل والإيمان والثقة بالله وقد مر هو بتجربة كبيرة في هذا المجال ليجسد لنا سيمفونية رائعة تجمع بين العقل والمنطق والقلب والروح ولعل تحليله لكتاب النورسي وإضافاته في ذلك من خلال تجربته الشخصية والمهنية تضيف كثيرا إلى القارئ وإلى كل الباحثين عن الأمل في الشفاء خلال رحلتهم وصراعهم مع المرض فجاءت كلماته تعبر عن الرضا وتحفز المرضى على الشفاء وتفيض بالحب والثقة بالله والأمل.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الناس على وجهين: أحدهما طيب، والآخر خبيث، أما الخبثاء فالبعد عنهم أولى، وحثهم على الخير واجب، ودفعهم عن الشر فريضة، وأما الطيبون فالقرب منهم مغنمة، والتواصل معهم مرحمة، وحثهم على الخير ودفعهم عن الشر تذكرة.

واتفاقًا مع هذه المعاني فقد أقدمت على هذا العمل؛ لمشاركة الناس أحزانهم وآلامهم وآمالهم في التغيير، فإن الأحزان بالمشاركة تقل، وينتج عنها أمان معنوي وسعادة، وهنا قد يسألني سائل كيف بدأت معرفتي برسائل النور؟ بدأ الأمر عندما كنت أذهب إلى معارض الكتب فأرى تلك الرسائل فتلفت انتباهي وتعلق بذاكرتي ولا أهتم بها، وأسمع صوت الدكتور « مأمون جرار » يقرأ نصوصًا منها، فأقف أستمع إلى بعضها ثم أنصرف، حتى أهدى إليّ بعض الأصدقاء نسخة من المصحف التوافقي، فاقتنيت منه عددًا من النسخ؛ لإعجابي بذلك العمل الفريد، وذلك في عام ٢٠١٢،

حيث قرأت أول نبذة عن السيرة الذاتية للإمام بديع الزمان سعيد النورسي، وهنا بدأ شغفي لمعرفة تلك الرسائل.

وكانت الفرصة الأولى هي حضور مؤتمر بقاعة مؤتمرات جامعة الأزهر في عام ٢٠١٣، واستمعت فيه إلى لفيف من العلماء يتحدثون عن شخصية الإمام ومتقلب أحوالها وعطائه العلمي، وكانت الفرصة الثانية عندما حضرت جلسات القراءة في رسائل النور، وأعجبني سلوك طلاب الرسائل؛ لما فيه من تواضع وإخاءٍ وإيثار.

ووجدت في تلك الرسائل العلم الغزير والخير الوفير والفكر المستنير والفيوضات الربانية التي أنعم الله بها على الإمام، فضلًا عن وجود تجربة إنسانية عميقة مر بها أضافت إلى الرسالة مزيدًا من المصداقية، هذا إذا عرَّفنا المصداقية على أنها مزيج من الأخلاق والسلوكيات المتناغمة مع العلم والعمل.

وقد بدأت هذا البحث بتمهيد، كما ورد عن الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، وهو التنبيه والاعتذار؛ ليكون قاعدة انطلاق للبحث والغوص في فكر الإمام العلاجي، أعقبْته بتعليق تحليلي لما جاء في التنبيه والاعتذار، ثم انطلقت مسرعًا صوب معمل الفكر النورسي؛ لتحليل أدويته الخمسة والعشرين، من حيث الماهية والوصف

والمادة الفعالة وغيرها من أدوات التحليل التي وردت باللمعة الخامسة والعشرين في رسالة إلى المرضى.

ثم انتخبت عددًا من الكلمات التي كررها الأستاذ في الأدوية تكريرًا ملحوظًا، وقدمتها بوصفها جرعاتٍ علاجية مكثفة، بعدئذٍ كانت لي وقفات ثلاث مع المرض والبلاء والابتلاء من حيث المعنى والفارق والحكمة والقدر، ألحقتها بأربعٍ من الجلسات النفسية تبِعَتْها ثلاث جلسات خاصة، ثم أخيرًا تأتي الخاتمة وكان وراء ذلك كله عدد من الدوافع والإشكالات، أما الدوافع فهي:

١. إن كاتب الرسالة متميز في شخصه مخلص في طرحه.

٢. إن الرسالة كتبت بمهنية، رغم عدم تخصص النورسي في العلاج النفسي.

٣. إن الرسالة تطرح عددًا من الأسئلة التي يجب الوقوف عندها.

٤. احتياج الباحثين لمصادر ومراجع تختص بالرسالة.

٥. تجربتي الشخصية التي تتوافق مع الرسالة.

٦. مخاطبة الرسالة لوجدان المرضى وأهل البلاء بما يتناسب مع اختلاف حالاتهم.

وأما الأسئلة والإشكالات فإنه قد ظهر لي في بداية البحث أكثر من ستة وعشرين سؤالًا حول الأدوية،

وخلال فترة البحث والتحليل لخَّصتُها إلى أربعة إشكالات رئيسية حول الأدويةوالأمراض والقدر والشكر، وتتمثل هذه الإشكالات فيما يلي:

الإشكال الأول: وهو خاص بالدواء، من حيث المعنى والتحليل والتركيب والمادة الفَعَّالة والعناصر والاستخدام، وهل توجد لهذه الأدوية أعراض جانبية أو لا؟

الإشكال الثاني: وهو خاص بالأمراض: ويتمثل في الإجابة عن السؤال القائل: ما الحكمة من الأمراض والابتلاءات ؟

الإشكال الثالث: وهو خاص بالقدر، وهل المسألة صدفة كونية أو قدر إلهي؟

الإشكال الرابع: وهو خاص بالشكر: فكيف يشكر الإنسان الله على المحن؟

وقد بيَّنت الجواب عن كل إشكال فيما يختص به من مواضيع، وقد أخذت تلك الدوافع والإشكالات وبنيت قاعدة إستراتيجية؛ للتأمل في هذا البحث كونتها من ثلاث خطوات هي التحليل والتحقيق والمشاهدة.

وأبدأ بالتأمل:

فالتأمل هو التفكر والتدبرفي أي شيء ينال إعجاب الإنسان، ولما أعجبتني تلك الرسالة وخاطبت وجداني، بدأت أتأمل فيها، فوضعت أسلوبًا للتأمل حتى أخلص إلى عملٍ يتناسب مع قوة تأثير هذه الرسالة، ورأيت أن عملية التأمل تزداد قوة كلما توافرت للشخص خبرات حياتية وتجارب عملية. وقد تأملت في تلك الرسالة بأسلوب هو كالآتي:

التحليل:

قبل أن أبدأ بحثي وقبل أن أحدث إشكالا في الطرح عند القارئ أود أن أبين بعض النقاط، وهي:

١- كان أمامي طريقتان للشرح والتحليل: الأولى: هي أن أكتب دواءً دواءً، ثم أبدأبالتعليق عليه، والثانية: أن أقرأ الرسالة وأن أضعها في صورة تحليلية شاملة، ففضلت الثانية على الأولى للأسباب التالية:

أ- تفادي التكرار، فعلى سبيل المثال فإنه قدتكرر الدعاء والصبر والشكر في الرسالة عددًا من المرات، وقد جمعتها وعلّقت عليها جملة واحدة، حتى لا يصاب القارئ بالملل.

ب- إن التحليل الشامل يسهل عملية الوَصل والفَصل بين جميع العلاقات الترابطية في الأدوية وبيان الأمراض، من حيث ذكرها وتصنيفها في الرسالة، فبالنسبة للأمراض فقد بيَّنتها من حيث المعنى وصنفتها وفق ما ورد في الرسالة على قسمين:

القسم الأول: وهو الأمراض العضوية.

والقسم الثاني: الأمراض النفسية.

وأنوِّه إلى أنني لم أقف على ما ورد في الرسالة من أمراض مرضًا مرضًا بالتشخيص والعلاج، بل ربطتها مع أمراض أخرى وردت برسائل النور؛ لعلُوِّها عليها في الدرجة المرضية ووجود قواسم مشتركة، من حيث الأعراض والعلاج، مثل التوهم الذي ذكره الإمام في الدواء الحادي عشر وعلاج الخوف الذي أفْرَدنا له جلسة نفسية خاصة.

أما بالنسبة للعلاقات الترابطية الجَّلية بين الأدوية وغيرها في رسائل النور، فقد جمعتها في هذا العمل قدر المستطاع، وهي إحدى عشرة مجموعة بيَّنتها على النحو التالي:

توجد علاقة ترابطية تكاملية بين كل من:

١	الدواء الرابع والثامن عشر في رسالة إلى المرضى، وبالمكتوب الثاني عشر من المكتوبات .	مجموعة خاصة بالحكمة من القدر وعدم أحقية المرضى في الشكوى .
٢	المُحال الأول باللمعة الثالثة والعشرين (رسالة الطبيعة) والكلمة السادسة والعشرين الخاصة بالقدر .	مجموعة خاصة ببيان مفهوم القدر .
٣	الدواء السادس والعاشر والحادي عشر .	مجموعة خاصة بالأمراض النفسية المذكورة صراحة بالرسالة .
٤	الدواء الحادي عشر والمكتوب الثاني عشر .	مجموعة خاصة بالتوهم .
٥	المكتوب التاسع والعشرين القسم السادس الدسيسة الثانية وبين الدواء السادس والدواء العاشر والدواء الحادي عشر .	مجموعة خاصة بعلاج الخوف والتوهم .
٦	الدواء الرابع والعشرين والمكتوب الحادي والعشرين.	مجموعة تختص بعلاج الحالة النفسية والإنسانية لدى الممرضين والأبناء الذين يساعدون العجزة وكبار السن.
٧	الشعاع الثالث عشر والمكتوب السابع عشر .	مجموعة خاصة بالعزاء .
٨	الدواء الرابع عشر والخامس عشر والسابع عشر والثاني والعشرين .	مجموعة خاصة بالأمراض العضوية المذكورة صراحة بالرسالة .

٩	الدواء الخامس عشر والثاني والعشرين .	مجموعة خاصة بشرح بعض الأمراض العضال.
١٠	الدواء الحادي عشر والرابع عشر.	مجموعة خاصة بذكر المبتلين من العميان .
١١	الدواء الثالث عشر والرابع عشر والسابع عشر .	مجمعة خاصة بالقصص .

وبهذا نكون قد بيَّنا في هذه النقطة كيفية تعاملنا مع الأمراض المذكورة في الرسالة، وبينّا كذلك العلاقات الترابطية الموجودة داخل هذا العمل التي سوف نتعرض لها في مجموعةالوقفات وما يليها من جلسات.

٢- كانت هناك إطالة متعمدة في السر العلاجي، ويرجع السبب في ذلك إلى أن هذا العنوان ذو علاقة ترابطية بما قبله وما بعده من عناوين داخل الكتاب، كما تخلل هذا السر العلاجي عدد من العناصر التي يلزمها الكثير من الشرح وقد لخصت ذلك قدر المستطاع .

٣- إنني في هذه الرسالة تجدني أخاطب المتخصصين بعض الأوقات وأخاطب المرضى وغيرهم مرات أخرى، فبعض العناوين التي تتعلق بالدواء من حيث المعنى والتحليل والتصنيف والاستخدام والأعراض الجانبية والجلسة الخاصة مع الطبيب هي خطاب للمتخصصين

وزيادة لمحبي رسائل النور وطلابها، أما بقية العناوين فهي للناس عامة وقاية – وللمرضى والمتخصصين غاية.

التحقيق:

وذلك من خلال تحديد أرقام الآيات والسور القرآنية وتخريج الأحاديث الواردة في الرسالة ووضع الهوامش كلما لزم الأمر.

الشهادة:

إن الشهادة تعني توافر المعلومات اللازمة لدى الشاهد في أمر ما والإيمان بأحقية المشهود له بظهور أو بإخراج تلك الشهادة في حقه، وأنا هنا أشهد بقوة تأثير تلك الرسالة من خلال:

١- تجربتي بوصفي مبتلى بكف البصر، وهنا أسقط بعض المعاني التي لمستها ووجدتها خلال قراءتي لهذه الرسالة.

٢- تجربتي بوصفي معالجًا نفسيًا وهذا يظهر من خلال جميع التحليلات الموجودة في هذا البحث.

تمهيد

أبدأ بحثي هذا بما بدأ به الإمام سعيد النورسي، وهو التنبيه والاعتذار لوجوب التعليق عليه، آخذين من خلاله بعض الملاحظات القيمة التي انطلقتُ من خلالها في القراءة والتحليل والتأمل لهذه الرسالة القيمة.

تنبيه واعتذار

«تم تأليف هذه الوصفة المعنوية بسرعة تفوق جميع ما كتبناه، ولضيق الوقت كان تصحيحها وتدقيقها -بخلاف الجميع- بنظرة خاطفة في غاية السرعة كتأليفها، فظلت مشوشة كالمسودة الأولى، ولم نرَ حاجةً للقيام بتدقيقاتٍ جديدة، حيث إنَّ الخواطر التي ترد القلب فِطريًا ينبغي عدم إفسادها بزَخرف القول والتفنن والتدقيق، فالرجاء من القراء، وبخاصة المرضى منهم ألا يضجروا من العبارات غير المأنوسة والجمل الصعبة، وأن يدعوا لي بظهر الغيب»[١].

(١) سعيد النورسي: اللمعات، ص٢٨٩، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، الطبعة السابعة (٢٠١٣).

تعليق:

من خلال قراءتي لهذا التنبيه والاعتذار استبانت لي أربع ملاحظات هي:

١- تنوع الوصفات المعنوية مع تقلب الحالات النفسية، رغم سرعة التأليف، وهذا يدلنا على عمق التجربة ودقة الفهم وعظيم المعرفة بأحوال الناس النفسية.

٢- إيمان الإمام سعيد النورسي أن ما خرج من القلب خالصًا يصل إلى القلب؛ لذلك ارتأي عدم التدقيق الدقيق والتفنن الكلامي الذي يخرج الوصفة المعنوية من حالة الإخلاص إلى حالة التكلف.

٣- شعوره بالتقصير تجاه القراء، وهو دليل على شدة تواضعه.

٤- طلبه الدعاء بظهر الغيب، وهو دليل على افتقاره، وأنه كسائر القراء يحتاج إلى دعائهم، كما يحتاجون للتداوي بتلك الرسالة، وإيمانًا منه بأن الناس يحتاج بعضهم إلى بعض.

الأجواء التي كتب فيها البحث

كتب بديع الزمان تلك الرسالة في فترة زمنية مقدارها أربع ساعات ونصف الساعة، كما ورد بالتنبيه والاعتذار وفق خواطر قلبية خالصة، وكان من ضمن دوافعه سؤال تلامذته له الدعاء بالشفاء لهم ولغيرهم، كما ورد بالدواءين

الأول والرابع عشر، وقدم هذه الرسالة دواءً شافيًا في قالب إدراكي بديع مرصع بجواهر من الكلم الطيب ولآلئ من الحكم النورانية، ولما كانت تلك الرسالة نابعة من القلب، يسّر الله لها طريقًا إلى القلوب.

وقد وقعت في يدي تلك الرسالةفي سبتمبر ٢٠١٤ ذي القعدة ١٤٣٥، فطبعتهابطريقة برايل، وزارني بعض الأصدقاء من طلاب النور في الإسكندرية، فانطلقت معهم إلى حديقة المنتزه، وهي من أشهر حدائق الإسكندرية، واصطحبنا تلك الرسالة مطبوعة بطريقة برايل ومعها رسائل أخـرى، وأقمنا جلسة للقراءة، وصورنا هذه الجلسة ورفعناها على اليوتوب بتاريخ ١٥ سبتمبر ٢٠١٤، وكان اختياري لتلك الحديقة يرجع أولًا إلى شهرتها التاريخية، وثانيًا أنها تطل على البحر المتوسط ويحفها النخيل ويتخللها الأشجار وتزينها الورود، وهو ما يمهد لنا طريقًا للتأمل والتفكرفي نِعَمْ الخالق، وأن هذه الأماكن توجدفي النفس السعادة والسرور مصداقًا لقوله تعالى ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾(النمل: ٦٠).

ثم كان من أمري أن سافرت إلى اليمن؛ لأتزوج، وأخذت معي النسخة المطبوعة بطريقة برايل قبيل زواجي

بأيام، وبينما كنت أستعد، إذ بي أجد نفسي منقادًا لقراءة الرسالة كاملةً، وكان ذلك في الأسبوع الأول من ذي الحجة من العام نفسه . فقلت في نفسي متعجبًا: أأقرأ هذه الرسالة بدلًا من قراءتي لشيءٍ يخص أمر الزواج ؟! فتذكرت قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴾ (لفجر: ١٥) وانتبهت إلى قوله ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (الأنبياء: ٣٥) فتيقنت أن الحياة كلها ابتلاءٌ، واستخلصت من الرسالة أن الابتلاء يلزمه الدعاء، والاستجابة يلزمها الصبر، والشكر تاج المبتلين.

وعلى أية حال لم يكن الإمام سعيد النورسي كسائر الأئمة، حيث إنه لم يجعل الاستشفاء توقيفيًا على الرقية الشرعية، ولم يجعل الأمر متوقفًا على التبرك بالدعاء، بل قدم للمرضى دونما طلبٍ منهم احتياجهم اللازم من خلال تلك الأدوية المبنية على تغيير الإدراك.

مفهوم الدواء:

الأدوية نوعان النوع الأول: الأدوية المادية، وهي التي تتركب من عناصر كيميائية وأخرى طبيعية من الأعشاب والنباتات، ويتخللها مواد فعالة تعالج الهرمون أو الخلية المتسببة في المرض، أما النوع الثاني: فهو الأدوية المعنوية التي تختص بالرقى والاعتقاد فيها والجلسات النفسية التي نحن بصددها خلال تلك الرسالة.

العناصر التي يتركب منها الدواء والمادة الفعالة بها:

قام الإمام النورسي بعمل تركيبة من الدواء المعنوي في معمل فكره مسقطًا ومجريًا عليه التجارب الحياتية لطلابه وغيرهم، ومستخلصًا النتائج التي رسَّخَت عنده جودة وسلامة وفاعلية هذه الأدوية ومدى استجابة وإقبال المرضى والمبتلين المرتفع للعلاج، ويبدو هذا جليًا في ترجمة هذه الرسالة أكثر من غيرها إلى عديد من اللغات، ويتركب الدواء من جملة من العناصر، وهي:

الآيات القرآنية، الأحاديث النبوية، القصة، الأمثال، جمل إيحائية تساعد على تغيير الإدراك،، المادة الفعالة وهي الكلمة.

وصف الدواء:

يتألف الدواء من خمسة وعشرين صنفًا من الأدوية، ونلاحظ في الدواء السادس وجود بديلٍ أو دواء مكمل، فقال الإمام في هذا الدواء (« أيها المريض الشاكي من الألم » وقال في الدواء السادس مكرر « أيها الأخ المضطرب من المـــرض »)[1]. فالشكوى تـؤدي إلى الاضطراب والاضطراب يؤدي إلى الشكوى، وبذلك يكون أصل

(١) سعيد النورسي: اللمعات، ص٢٩٣-٢٩٤ .

مجموع الأدوية ستة وعشرين دواء، بعد أن أضفنا ذلك الدواء البديل.

ويلاحظ أن الدواء الرابع والعشرين دواءٌ شامل للممرضين القائمين على خدمة المرضى، فهم كذلك يحتاجون عناية معنوية؛ كي يتحملوا عبء تعاملهم مع المرضى، أما الدواء الخامس والعشرون، من حيث التصنيف الرقمي السادس والعشرون ومن حيث المجموع، فهو ذو مزية خاصة، إذ وجهه الإمام إلى كل المرضى ليكون فيتامينًا مقوِّيًا لمختلف الحالات المعنوية لديهم.

وبهذا نكون قد حصلنا من هذه الأدوية المعنوية على أدوية متخصصة، كالأدوية المعالجة للاضطراب والقلق، كما هو موجود بالدواءين السادس والعاشر، وأضاف الإمـام لها بديلًا أو مكملًا كما هو موجود في الدواء السادس، وآخر على هيئة دواء مقوٍ، مثل الفيتامين، كما في الدواءالخامس والعشرين، وبهذا تكتمل الصيدلية الدوائية للإمام سعيد النورسي.

كيفية استخدام الدواء والأعراض الجانبية:

جرت العادة في استخدام الرسالة التي وجهها الإمام إلى المرضى أن تقدم هدية لهم في كتيب صغير أو يشتري المرضى نسخًا لأنفسهم؛ كي يتدبروا ما فيها من لطيف

الأقوال، إلا أنني لاحظت شيئًا مهمًا يتمثل في وجود عرض جانبي في تلك الرسالة، وهو أنه إذا بدأ مثلًا أحد جلساء المرضى غير المتخصصين في يقرأ من الدواء الرابع، دونما وعي بالحالة، فربما يحدث ذلك ألمًا معنويًا لدى المريض، حيث بدأ الإمام في الدواء الرابع موجها خطابه لصنف من المرضى بعينه قائلا: « أيها المريض الشاكي! اعلم أنه ليس لك حق في الشكوى »[١].

ومن ثمَّ ننصح غير المتخصصين أن يقرأوا الرسالة كاملة على المرضى، أما المتخصصون فهم أهل علم بما ينبغي البدء بقراءته مما في هذه الرسالة من أدوية.

الإمام النورسي « معالج نفسي »

عند قراءتي لتلك الرسالة تبين لي أن الإمام قد لبس ثوب المعالج النفسي، من خلال أربعة عناصر:

النية، العوامل الشخصية، أسلوب الرسالة، عنصر الزمن.

النية:

بدا الإخلاص واضحًا من خلال تقديم الإمام لتلك الرسالة؛ لدعم المرضى معنويًا دونما طلب منهم والتدقيق في احتياج كل فصيل من المرضى في الدعم المعنوي اللازم

(١) المصدر نفسه، ص٢٩٢ .

لكل منهم على حدة، وقد أفرد الإمام سعيد النورسي لمعتين كاملتين؛ لتوضيح مفهوم الإخلاص قرأتهما واستخلصت منهما اثنى عشر عاملًا من العوامل الدالة عليه، وأطلقت عليها مفاتيح الإخلاص، وهي:

١- أن يكون الرجل من أهل الحق والوفاق والوئام.

٢- الشعور بالعزة وعلو الهمة .

٣- القلق على المصير.

٤- سمو النظر.

٥- عمق الرؤية .

٦-وجود القوة .

٧- الشهامة .

٨- الرجولة .

٩- الحمية .

١٠- الكرامة .

١١- الرضا.

١٢- التواضع وترك الأنانية والغرور .

وأقول لنفسي ولكم إن مساعدة الناس توجب محبة الله والناس وتنبت في القلب الإخلاص.

العوامل الشخصية:

تتضح هذه العوامل من خلال عشرة عناصر، وهي:

١- المصداقية .

٢- التجربة الحقيقية .

٣- الخبرات الحياتية .

٤- الثقة المتبادلة بينه وبين المرضى من تلامذته خاصة وبين الناس عامة.

٥- القدرة على تحليل الشخصية .

٦- حفظ أسرار الناس، ويتضح هذا من خلال عدم ذكره لقصص ومواقف يعلن فيها عن أسرارهم، من شأنها التأثير السلبي عليهم عند اكتشافها بالرسالة.

٧- القدرة على التأثير المعنوي، ويتضح ذلك من خلال سعة إدراكه وقدرته على تغيير الإدراك.

٨-تميزه بالفهم الأيدولوجي لمختلف الثقافات.

٩- فهمه للأبعاد الاجتماعية ومدى تأثيرها على الفرد والمجتمع.

١٠- الإبداع في حل المشكلات، بحيث يرى أن لكل مشكلة حلًا خاصًا بها، ويضع لها الطريقة المثلى من وجهة نظره.

أسلوب الرسالة:

تتميز الرسالة ببساطتها في الأسلوب، وذلك من خلال:

١- خلوها من المصطلحات الطبية.

٢- قصر الجمل المخاطبة للعقل الباطن بوجهيها المباشر وغير المباشر.

٣- اعتماد الرسالة على تغيير الإدراك وبث روح الإيمان.

٤-جمع الرسالة بين المواساة والأمل.

٥- تحديد الخطاب المعنوي الموجه لكل صنف على حدة، حتى يبلغ المعنى غايته.

عنصر الزمن:

إن الزمن المعلوم لدى المعالجين النفسيين؛ لإقامة الجلسات النفسية يبلغ ما يقرب من ساعة يستمع فيها المعالج إلى مريضه، ويحلل ويشخص ويساعد الحالة علاجيًا، وكل الجلسات تتوافق بمقدار زمني متقارب، فإذا لاحظنا مثلا الدواءين الثاني والثالث، فإنهما نظيران في عدد الأسطر متقاربان في عدد الكلمات وقس ذلك على باقي الرسالة، حيث ستجد تقاربًا ملحوظًا في الزمن، وهو ما يسهل على القاريء قراءتها وفهمها والتداوي بها والتدبر في عميق معانيها.

السر العلاجي

العقل الباطن:

كي نتعرف على القدرة العلاجية باستخدام العقل الباطن لابد وأن نتعرف على هذا العقل وكيفية عمله فلكل إنسان: عقل واعٍ وعقل باطن « لاواعٍ »:

العقل الواعي يستخدم المنطق والاستنساخ والأسباب؛ للوصول إلى النتائج، وهو المسئول عن اتخاذ القرار وما ينبغي أن يفعله الإنسان، وكذلك ما يجب أن يتجنبه.

والعقل الباطن له دور غير مباشر في هذه العملية، حيث إنه عند استخدامك العقل الباطن تكتشف أن جميع القرارات والاختيارات التي يقوم بها العقل الواعي جاءت متأثرة بالتوجهات والمعلومات التي يتلقاها من العقل الباطن [١].

إن معظم الأفكار توجد بالعقل الباطن الذي يتشكل في السنوات الخمس الأولى من حياة الإنسان، بمجرد أن يبلغ عمره ست سنوات، ويصعب الوصول إلى العقل

(١) السيد الشيشينى: التسويق الاستراتيجي للجمعيات والمؤسسات الخيرية للمعاقين وحقوقهم، الطبعة الأولى، الاتحاد العربي للثقافة والإبداع، ص٨٨ .

الباطن حتى فيما بعد، فإذا وقع اختيارك على فكرة بنّاءة وظللت تكررها بعقلك الواعي مرارًا، فلن تستطيع أن تقنع عقلك الباطن بها، والسبب في هذا بسيط للغاية، فالآلية التي يعمل بها عقلك الباطن سترفض الفكرة وترسل أفكارًا أخرى إلى المنطقة الأمامية من عقلك الواعي؛ وذلك لأن « العقل الباطن هو آلية إلكترونية معقدة تسعى وراء تحقيق الأهداف، وهو يشبه في عمله أكثر ما يشبه الحاسوب، ولكنه أكثر تعقيدًا وتفاعلًا من أكثر أجهزة الحاسوب تعقيدًا التي قد يتوصل إليها الإنسان ».

والعقل الباطن لا يعرف الفرق بين الصواب والخطأ أو الخير والشر، فهذا يقع على عاتق العقل الواعي.

فالعقل الباطن هو ذلك الجزء من العقل البشري الذي يمكن الإنسان من المعرفة والتفكير والتصرف بفاعلية، وهو يعتمد على الحواس في اختبار البيئة المحيطة، كما يتعلم العقل الواعي عن طريق الملاحظة والتجربة.

وعن طريق العقل الواعي فقط يمكن الاتصال بالعقل الباطن، حيث يستعين العقل الواعي بالعقل الباطن؛ لاسترجاع كل ماهو مخزن به من معلومات وخبرات وذكريات، ودون تلك الاستعانة من العقل الواعي لن يفعل العقل الباطن أي شيء؛ لأنه ليس لديه أي أهداف ليحققها.

والعقل الباطن يعمل كبنك الذاكرة للمخ، فهو لا ينسى أي شيء؛ ولهذا يجب برمجته بأفكار إيجابية عن النجاح والثقة والسعادة، وليس بأفكار سلبية عن الفشل، ويمكن التعامل مع العقل الباطن عن طريق التغذية بالمعلومات، كما نفعل مع الحاسوب.

ويتضح لنا أنه ليس بالضرورة تحويل كل مشكلة تواجهك إلى العقل الباطن لحلها، ويعود السبب في ذلك إلى قدرة عقلك الواعي على حل الكثير من المشاكل ببساطة باستخدام المعلومات والخبرات السابقة المسجلة والمخزنة في بنك الذاكرة الخاص بعقلك الباطن، ويلعب العقل الباطن دورًا كبيرًا في دعم العملية العلاجية، فقد يستطيع العقل الباطن حل الكثير من المشكلات النفسية التي لا يستطيع العقل الواعي حلها، فإن العقل الباطن يعمل على الإلهام بأفكار جديدة؛ لحل تلك المشكلات.

فالحدس والإلهام وحل المشكلات هي من عمل العقل الباطن، ولكي يحدث ذلك لابد من الاسترخاء، فهو يزيد من الثقة في النفس ويساعد على تخطي المشكلات الصعبة في الحياة بشكل عام . وقبل أن نتعرف على ماهية الإلهام وخصائصه نتعرف أولا على كيفية الوصول إلى العقل الباطن.

التخيل وكيفية الوصول إلى العقل الباطن:

للوصول إلى مفهوم واضح ومبسط للتخيل لابد لنا من الإجابة أولًا عن تساؤل مهم وهو: ماهي كيفية الوصول إلى العقل الباطن؟ والإجابة عن هذا التساؤل تكمن في أنه:

« يجب أن تستخدم الخيال لتتخطى العقل الواعي وتصل إلى العقل الباطن وتتعامل معه مباشرة، وذلك لأننا نجد أن العقل الواعي يتبع أسلوبًا يتسم بالنظامية والمنطق، على خلاف العقل الباطن »إذن فإن الإجابة تكمن في التخيل.

إن التخيل هو عملية يرى فيها الإنسان صورة ما في عقله، ويمكن أن يكون له محفز خارجي « شيء أثار التخيل لديه » ويمكن ألا يكون، وتلك الصورة يفترض أن تكون متكاملة الأركان، بحيث تحتوي على الألوان والأشكال والكلمات والمعاني وجميع الروابط الحسية والزمان والمكان الافتراضي « أي إنه لا يلتزم فيها بالوقت الحالي ولا يتقيد به ». وكذلك تحتوي على الحجم المناسب مع تكوينها.

والتخيل ليس بالأمر السهل، وقد أسهم في صناعة المجتمعات، فالأطباء والمعالجون الذين ساعدوا الناس على الخروج من أزماتهم الصحية كان التخيل أساسًا لإبداعاتهم العلمية والعلاجية، والاستغراق في تخيل أمر ما

بوضوح يدخل الجسم والجهاز العصبي إلى التفاعل مع الأمر، كما لو كان يحدث بالفعل .

فالإنسان يخدع جسمه وجهازه العصبي عن طريق التخيل، ويدل ذلك على أن العقل والجسد يكمل كل منهما الآخر، وبهذا الأسلوب نكون قد وصلنا للعقل الباطن، وأصبح التركيز قويًا ومحددًا ومقصورًا على هدف بعينه، ومن ثم تبدأ الفيوضات الربانية، وتنشط الالهامات والخواطر والحدس، وهنا نجيب عن السؤال اللازم: ما الإلهام وما خصائصه؟

ماهية الإلهام:

بين الإمام سعيد النورسي ماهية الإلهام في أربع نقاط، وأطلق عليها الأنوار الأربعة وهي:

١- إن من مقتضيات الـودوديـة والرحمانية - أي كونه ودودًا ورحمانًا - أن يتحبب إلى عباده ويتودد قولًا وحضورًا وصحبة أيضًا.

٢- إن من شأن الرحيمية إجابته لهم قولا من وراء الحجب .

٣- إن من لازم الربوبية أن يؤنسهم ويبدد وحشتهم، فيمدهم بأقوال إلهامية هي في حكم نوع من كلامه .

٤- « إن من مقتضى رأفة الألوهية ورحمة الربانية، والضرورة اللازمة لهما: أن يتجلى الله سبحانه بحضوره ومعيته ووجوده لعبد بعينه، حسب قابليته بوساطة قسم من الإلهامات الصادقة قولا إلى هاتف قلبه، وهو ما يعد في حكم نوع من المكالمة الربانية »[١].

فالإلهام من وجهه الإعجازي هو أن يدرك بداهة تجلي الإلهامات الواسعة حسب قابلية كل متلقٍ لها، من دون أن يزاحم سؤال سؤالا، ولا يمنع فعل فعلا، ولا يختلط خطاب بخطاب.

ويتميز الإلهام بخاصيتين جليتين وهما:

الأولى: أن الالهام يحدث دون وساطة من الملائكة والرسل بين العبد وربه.

الثانية: أن الإلهام عام، وله أشكال متنوعة ومتفاوتة جدًا، كإلهامات الملائكة وإلهامات الإنسان وإلهامات الحيوانات، وهي بأنواعها المختلفة وأشكالها المتباينة جدًا تبين مدى سعة الكلمات الربانية وكثرتها التي تزيد على عدد قطرات البحار، ويفهم هذا الوجه من تفسير الآية الكريمة ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ (الكهف: ١٠٩)[٢].

(١) الشعاعات، ص١٥٤ (بتصرف).
(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٥.

وبهذا يكون قد اكتمل الكلام عن السر العلاجي الذي بيّنا فيه العقل الباطن وكيفية الوصول إليه والإلهام، من حيث التعريف والخصائص، وتجدر الإشارة إلى أن العوامل الشخصية وأسلوب الرسالة لدى الإمام سعيد النورسي سالفة الذكر تمثل أيضًا جانبًا من جوانب ذلك السر العلاجي.

الوقفات

الوقفة الأولى:

« المعنى والفارق بين المرض والبلاء والابتلاء »:

صنف الإمام سعيد النورسي في المكتوب الأول من المكتوبات التي عددها ثلاثة وثلاثون مكتوبًا الحياة إلى خمس مراتب، فقال: « الطبقة الأولى من مراتب الحياة هي حياتنا المقيدة بقيود كثيرة »[١].

نعم إن القيود تتمثل في كل خير وشر وابتلاء ومرض ومصيبة يُصاب بها الناس في تلكمُ الحياة، وعلى هذا فإن المرض هو كل خلل يصيب البدن أو مشكلة نفسية يتعرض لها الإنسان، والابتلاء أشمل من المرض في أنه يجمع ما بين الأمراض النفسية والبدنية والمشكلات الاجتماعية كافة، أما البلاء فهو أوسع في شموليته من سابِقَيْه فهو يَحِلُّ بالأمم، وبالنسبة للمرض والابتلاء فهما يقعان بالأفراد، على عكس البلاء فإنه يقع بالأمم.

ويصاحب الأمراض والبلاء والابتلاء شعور بالألم وقد ذكر الإمام كلمة (الألم) في أدويته عددًا من المرات،

(١) المكتوبات، ص٥ .

وكنت أعمل على عدِّ بعض الكلمات التي ذكرها؛ للوقوف عليها، وهي الصبر والشكر والدعاء، وقد قدمتها جرعات علاجية مكثفة، ولكني آثرت ألَّا أَعُدَّ المرات التي ذكرت فيها هذه الكلمة. فالألم شعور قاسٍ يضاعف عدد الثواني والدقائق والساعات ويفقد لذة الحياة، ويختلف الألم باختلاف حقيقته، فالألم نوعان: ألم مادي وألم معنوي، فالمادي منبه على وجود خلل بعضو من أعضاء الجسد، وأما المعنوي فهو قسمان:

أولهما:

حقيقي: وهو الذي ينتج عن المشكلات الحياتية وسوء التعامل معها، وينتج كذلك عن أعراضٍ نفسيةٍ تصاحب الألم المادي من قلق وتوتر واضطراب.

وثانيهما:

وهمي: وهو ينتج عن التوهم والوسوسة الناتجة عن الخيال المريض والأفكار السلبية التي يوجِدُها الإنسان لنفسه، ويعالَج الألم بحسب ماهيته، إما بالعقاقير، وإما بضبط أو تغيير مسار الإدراك والتفكير، أو كليهما معًا، بِحَسْبِ نوع الألم ودرجته.

وعودًا إلى ما بدأنا به فإن الأمراض قد تزول بالشفاء، وأما الابتلاءات من تلكمُ الأمراض، كالمرض العضال

والإعاقة، فقد تدوم حتى الموت، وبالنسبة للابتلاءات المتمثلة في المشكلات الأسرية والاجتماعية فمنها ما يدوم طويلًا، ومنها سرعان ما ينقضي، فمن أحب شيئا أُبتُلِيَ به أو أُبْتُلِيَ فيه، فعلى سبيل المثال من أحب المال وأنفقه في وجوه الخير، فقد أُبْتُلِيَ به ومن أحبه وأنفقه في وجوه الشر، فقد فُتن به وأُبْتُلِيَ فيه، والله سبحانه يبلونا بالشر والخير فتنة.

وأما البلاء الذي يحل بالأمم فهو يُحْدِث أزمة شاملة بتلك الأمة الواقع بها ذلك البلاء، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (البقرة: ٤٩)

وكل جَمعٍ من الناس يجتمعون على شيءٍ أو فكر أو عقيدة يطلق عليهم لفظ أمة؛ لقوله تعالى ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ (القصص: ٢٣) وكذلك قوله ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ (القلم: ١٧) وعلى الرغم من أن البلاء يقع بالأمم، فإنه ذكر سبحانه في القرآن لفظ « البلاء » استثناءًا في حق نبينا إبراهيم

عليه السلام في قوله ﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴾ (الصافات: ١٠٣ - ١٠٦).

ويرجع سبب ذكر البلاء لسيدنا إبراهيم عليه السلام وحده دون أن يخص به غيره، إلى أنه كان عند الله أمة كاملة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ (النحل: ١٢٠) لذلك أجرى الله عليه ما أجراه على الأمم، وبذلك نكون قد بيَّنا معنى المرض والبلاء والابتلاء والفارق بينهما، وسنبين في الوقفة الثانية الحكمة من وقوعها.

الوقفة الثانية:

« الحكمة من الابتلاءات والأمراض »

توجد علاقة ترابطية تكاملية بين الدواءين الرابع والثامن عشر في رسالة إلى المرضى، وبالمكتوب الثاني عشر من المكتوبات، حيث سأل الناس سؤالًا أورده الإمام سعيد النورسي في ذلك المكتوب، وهو: « إن الله سبحانه ينزل المصائب ويسلط البلايا، ألا يكون هذا ظلمًا على الأبرياء، بل حتى على الحيوانات ؟ »[1].فبدأ الإمام مجيبًا في الدواء الثامن عشر مرجعًا ذلك إلى ترك الشكر،

(١) المكتوبات، ص٥٦ .

ووجه خطابه قائلًا: « أيها المريض التارك للشكر والمستسلم للشكوى ».[١]

وأكمل في الدواء الرابع قائلًا: « أيها المريض الشاكي! اعلم أنه ليس لك حق في الشكوى »[٢] وأوضح الإمام في الدواء الرابع أن كل ما يملك الإنسان من أعضاء من صنع الله وخَلقه، يتصرف فيها كيف يشاء، ويُبَيِّن في الدواء الثامن عشر أن عليك حقوقًا واجبة الشكر لم تؤدِ شكرها؛ وحذر من الشكوى تحذيرًا لطيفًا في الكلمة السابعة عشرة المقام الثاني:

« دع الصراخ يا مسكين، وتوكل على الله في بلواك

إنما الشكوى بلاء

بل بلاء في بلاء، وآثام في آثام وعناء

❊ ❊ ❊

فبغير الله دنياك آلام وعذاب وفناء وزوال وهباء في هباء

فتعالَ توكل عليه في بلواك!

مالك تصرخ من بليَّة صغيرة وأنت مثقل ببلايا تسع الدنيا

❊ ❊ ❊

تبسم بالتوكل في وجه البلاء، ليبتسم البلاء

فكلما تبسم صغر وتضاءل حتى يزول »[٣]

(١) اللمعات، ص٣٠٤ .
(٢) المصدر نفسه، ص٢٩٢ .
(٣) الكلمات، ص٢٢٤ .

ولتِبْيَان ذلك كله ذكر الإمام مثالين: الأول هو الذي ذكره في الدواء الرابع والمكتوب الثاني عشر والكلمة السادسة والعشرين التي هي بعنوان رسالة القدر، والثاني ما ذكره في الدواء الثامن عشر: ليلخصا الحكمة من المصائب والابتلاءات والأمراض، والمثال الأول هو: « هب أن صانعًا ثريًا ماهرًا يكلف رجلًا فقيرًا لقاءَ أُجرةٍ معينة؛ ليقوم له لمدة ساعة بدور النموذج « الموديل »؛ فلأجل إظهار صنعته الجميلة وثروته القيمة يلبسه القميص المزركش الذي حاكه والحلة القشيبة التي نسجها في غاية الجمال والصنعة، وينجز عليه أعمالًا ويظهر أوضاعًا وأشكالًا شتى؛ لبيان خوارق صنعته وبدائع مهارته، فيقص ويبدل ويطول وهكذا، كل ذلك لكي يبين حذاقته ومهارته، فيا ترى أيحق لذلك الفقير الأجير أن يقول لهذا الصانع الماهر « إنك تتعبني وترهقني وتضيق علي بطلبك مني الانحناء مرة والاعتدال أخرى... وإنك تشوه الجمال المتألق على هذا القميص الذي يجمل هندامي ويزين قامتي بقصك وتقصيرك له... إنك تظلمني ولا تنصفني؟» فلا ريب أنك لا تقدر على هذا القول بل إن قلته، فهو دليل الجنون ليس إلا »[1].

(١) اللمعات، اللمعة الخامسة والعشرون، ص٢٩٢؛ المكتوبات، ص٥٦؛ الكلمات، ص٥٤٥ .

وأنقل لك رأي الإمـام النورسي بشكل تكاملي بمقالته عن هذا المثال في المكتوب الثاني عشر والكلمة السادسة والعشرين، يقول الإمـام على غـرار هذا: « فإن الصانع الجليل – ولله المثل الأعلى – الذي ألبسك أيها المريض قميص الجسد وأودع فيه الحواس، كالعين والأذن والعقل؛ فلأجل إظهار نقوش أسمائه الحسنى يبتليك بأنواع من البلايا، في مرضك حينًا ويمتعك بالصحة أخرى، وهكذا يقلبك في مختلف هذه الأحوال، فكما أنك تتعرف على اسمه الرزاق بتجرعك مرارة الجوع، تتعرف على اسمه الشافي بمرضك. »[1] انتهى كلامه، ويتبين لنا أن الإمام ذكر ذلك المثال في ثلاثة مواضع من رسائل النور، وعلّق عليه في موضعين.

والمثال الثاني الموجود بالدواء الثامن عشر هو: « تخيل كذلك أن هناك شخصًا يأخذ بيد مسكين؛ ليصعده إلى قمة منارة، ويهدي إليه في كل درجة من درجات المنارة هدية، وأخيرًا يختم تلك الهدايا بأعظم هدية يهبها له عند قمة المنارة، وإذا كان المفروض على هذا المسكين أن يقدم الشكر والامتنان إزاء الهدايا المتنوعة، تُراه يتناسى كل هذه الهدايا التي أخذها عند تلك الدرجات، أو يعدها غير ذات بال، فلا يشكر رافعًا بصره إلى من هو أعلى منه شاكيًا قائلًا

(١) المكتوبات، ص٥٦؛ الكلمات، ص٢٤٥.

«لو كانت هذه المنارة أعلى مما هي عليه، لبلغت أعلى درجة من هذه الدرجات! لِمَ لَمْ تصبح مثل ذلك الجبل الشاهق ارتفاعًا أو المنارة المجاورة ؟! »[١].

وكذا حال الإنسان الذي خلقه الله من ضعف وأوجده من العدم قد متعه الله بوافر الصحة والعافية، وأصبغ الله عليه نِعَمَه ظاهرة وباطنة، مع هذا فإن الإنسان يُظهِر الشكوى من عدم تمتعه بنعم الله، نتيجة إضاعته تلك النعم بسوء تصرف أو خطأ متعمد أو غير متعمد في الاختيار، ثم يقول: ماذا فعلت لينزل بي ما نزل من البلايا؟! مرجعًا ما يحدث له إلى انتقاد الخالق سبحانه.

فهذه الحالة هي مرض قلبي ومصيبة أكبر من المرض المادي؛ لأن هذا التفكير يمس درجة الإيمان بل العقيدة برمتها، لكن المؤمن ذا البصيرة يمْتَثِل إلى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ (البقرة: ١٥٦) فيُسَلِم الأمر لله صابرًا محتسبًا حتى ينتهي ذلك المرض أو الابتلاء وفق مشيئة الله، وأن يشعر بالعجز والافتقار إلى الله أمام تلك الابتلاءات والمصائب.

والشعور بالعجز والافتقار دليل على فهم الحكمة والتفكر في النوازل، فالمقصود بالعجز والافتقار إظهار

(١) اللمعات، ص٣٠٥.

ذلك كله أمام الله سبحانه وتعالى وليس إظهاره أمام الناس، من خلال عدم تزكية الإنسان لنفسه وعدم العُجب والغرور والتكبر والوقوف أمام ضعفه أثناء قوته دونما انتظار لابتلاء يوقفه عند حده، وكذلك عدم نسيان الله؛ لأن نسيان الله ينسي الإنسان نفسه، بحيث يخوض في الملذات والشهوات والمنكرات وينسى فعل الخيرات ولا ينال حظه من الرحمات التي يرسلها الله للصالحين من عباده والمحسنين منهم.

وبذلك تكون الحكمة من الأمراض والابتلاءات والمصائب هي ضرورة حسن الاختيار والشكر والرضا بقضاء الله ومقدوره، وكذلك الشعور بالعجز والافتقار للمولى تبارك وتعالى أمام ذلك كله.

الوقفة الثالثة:

« بين المحال والقدر »

إن معمل تركيب الدواء يحوي العديد من المستحضرات الكيميائية والأعشاب الطبية والمواد اللازمة للتركيب، ويتركب كل من تلك المواد بمعيار دقيق وبمقادير محسوبة، بحيث لا تزيد عليه جرامًا ولا تقل؛ لأن الزيادة كالنقصان تحدث خللًا بالمركب الدوائي والتأثير العلاجي المَرْجُوِّ منهن ولما كان الدواء هكذا يجري

التعامل معه، فإن الأحوال في تقلبها على مثل ذلك تسير بِقَدَر معلوم، وليست سائرة وفق صدفة كونية، فكما يقول صاحب الرسائل: « إن الأدوية لا تنشأ نتيجة تصادم القناني بحدوث زلزال عاصف في معمل تركيب الدواء يؤدي إلى سيلان تلك المقادير بموازينها المعينة »[١].

إن الرضا والتسليم بقدر الله يُبَيِّن مدى درجة الإيمان لدى كل إنسان، أي إن المؤمن يحيل كل أمر إلى الله، ثم إن الإنسان المؤمن لكي لا يغتر بما صدر عنه من حسنات وفضائل يباغته القدر فجأة.

فالقدر ينقذ النفس من الغرور، وينجيها من الشعور بعدم المسئولية « إن كل شيء قبل كونه وبعد كونه مكتوب في كتاب، يُصَرِّح بهذا القرآن الكريم في كثير من آياته الكريمة، نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (الأنعام: ٥٩) وتُصَدِّق هذا الحكم القرآني الكائنات قاطبة التي هي قرآن القدرة الإلهية الكبير بآيات النظام والميزان والانتظام والامتياز والتصوير والتزيين وأمثالها من الآيات الكونية. »[٢].

وللقدر أمارات نعرفه بها وهي:

- أن يكون مفاجئًا وأحداثه غير متوقعة.
- أن لا يخاطب المنطق في أحداثه.

(١) اللمعات، ص٢٤٨ .
(٢) الكلمات، ص٥٤٠ .

– أن تحول بين نهايته وبدايته كل الحِيل، بحيث لا يقدر الإنسان على دفعه بما يملك من خبرات وعلم وقدرة على التفكير.

ويبين ذلك ما حدث لنبي الله موسى عليه السلام فنسيانه للحوت وقصته مع الخضر عليه السلام كانت غير متوقعة، وقتل الغلام وخرق السفينة وبناء الجدار كان غير منطقي بالنسبة لموسى عليه السلام وحل تلك المشكلات لم يكن على مراده، رُغْمَ ما آتاه الله من علم وفهم، بل كان وفق مراد الله وحكمته.

ويتبين لنا من خلال تلك الأمارات الثلاث أن للقدر خصائص بينها الإمام سعيد النورسي على وجهين الوجه الأول: العدالة الإلهية، والوجه الثاني: الظلم الذي يلحق بالإنسان دونما ذنب فعله وساق لنا مثلا أوضح فيه هذين الوجهين حيث قال:

« هب أن حاكمًا قد حكم عليك بالسجن بتهمة السرقة وأنت بريء منها، ولكن لك قضية قتل مستورة لا يعرفها إلا الله، فالقدر الإلهي قد حكم عليك بذلك السجن، وقد عدل؛ من أجل ذلك القتل المستور عن الناس، أما الحاكم فقد ظلمك، حيث حكم عليك بالسجن بتهمة السرقة وأنت بريء منها. »[1].

(١) المصدر نفسه، ص٥٣٥ .

والناس تتعامل مع القدر وفق درجة الإيمان الحاصل لديها، فمن الناس من يتكلم في القدر بحقه، حيث يُحَمِّل نفسه المسئولية متفَهِّما قدرته على الاختيار، وهذا الصنف من الناس يحق له الكلام في هذه المسألة؛ لأن أصحابه يستخلصون الحكمة من الأحداث ويتعلمون منها ويعلمونها، فيزدادون إيمانًا على إيمانهم، أما الصنف الثاني من الناس فأصحابه يتكلمون في القدر بغير حقه ولا يُحَمِّلون أنفسهم المسئولية منكرين الجزء الاختياري، فيلوم كل فرد منهم القدر ويلعن كل شيء حوله، ويتهم الظروف ويَشْعُر باضطهاد من حوله فيسخط على كل شيء ولا يتعلم أي شيء، بل يصل بهؤلاء الحد إلى التطاول على الذات الإلهية، وهذا الصنف من الناس لا يُسْمَع لهم؛ لأنهم لا يحق لهم الكلام في مسألة القدر.

وخلاصة القول أن الإيمان بالقدر خيره وشره دليل على فهم دوره، فالقدر فيه حكمة بالغة، فهو للرحمة تارة وللتأديب تارة أخرى، وبهذا نكون قد بَيَّنَا في هذه الوقفة أن كل شيء ليس محض صدفة، بل هو من قدر الله سبحانه وتعالى، وأن القدر ذو أمارات وخصائص يؤدي دوره بأمر الله، ويتعامل الناس مع القدر كلٌّ على شاكلته، والحمد لله على كل حال.

جلسات نفسية

الجلسة النفسية الأولى:

« علاج الوسوسة »:

﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾

إن التوهم حالة من شعورٍ غير حقيقيٍ وخيالٍ مريض، وقد ذكر الإمام النورسي التَّوهم في الدواء الحادي عشر، والتوهم أقل في الدرجة المرضية من الوسوسة؛ لذا فضلت الكلام عن الوسوسة؛ لعُلوِّها على التوهم في الدرجة المرضية، وقد أصَّل لها الإمام بالشرح في المكتوب الحادي عشر، وأبدأ بما قاله في الدواء الحادي عشر إجمالًا « لا شك أنه لا ألمَ من غيرِ شيءٍ، وما لم يكن هناك ألمٌ فلا تَوَجعُ ولا شكوى، ولكن لأنك تتوهمُ توهمًا خطأً، فإن الجزعَ ينتابُك، إذ مع زوال فترة المرض المادي قد ذاب ألم تلك الفترة أيضًا، وثبُت ثواب المرض، وبَقِيَت لذةُ زواله »[1].

نعم إن هذا النوع من التوهم نتيجة للتفكر وتحميل النفس ألمًا شديدًا يفقد الإنسان الصبر ويُنْبِتُ في القلب السخَط على كل شيء.

(١) اللمعات، ص ٢٩٨ .

إن التوهم مرضٌ في حدّ ذاتـه، وهو أقل درجة من الوسوسة، ويوجد بين التوهم والوسوسة علاقة ترابطية، من حيث الخيال المريض بالأفكار غير الحقيقية وغير المنطقية، وقد ورد في المكتوب الحادي عشر - على حد وصف الإمام سعيد النورسي - ما يبيَّن ذلك، حيث قال: « إن تداعي الخيالات، وتخطُّر الفرضيات نوع من ارتسام غير اختياري، وبناء على هذا: فإن تصور الكفر ليس كفرًا وتخيل الشتم ليس شتمًا، ولا سيما إن كان بلا اختيار، وكان تخطرًا فرضيًا، فلا ضرر فيه على الإطلاق »[1].

والمقصود بالارتسام هو الصورة الذهنية لدى الإنسان، والصورة الذهنية هي التي تحمل الكلمات والمعاني والصور وجميع الروابط المتعلقة بها.

وبعد أن بينا مفهوم التوهم إجمالًا نُبَيِّن مفهوم الوسوسة وتشخيصه وظواهره، من خلال فكر الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، فإلى جانب الأدوية التي قَدَّمها الإمام في رسالته إلى المرضى التي مازلنا بصدد تحليلها قَدَّم لنا في المقام الثاني من الكلمة الحادية والعشرين خمسة مراهم لخمسة جروح قلبية جُلُّها تختص بعلاج الوسوسة وشَخَّصَها من حيث الأسباب والظواهر

(١) المكتوبات، ص٤٨، ٤٧ .

والمصدر، إذ أوضح أن الشيطان هو المصدر الأول من مصادر الوسوسة وأن الأفكار السلبية والصور الذهنية الخاطئة وتناقض الأفكار الإيجابية والسلبية وميول القلب إلى السَلْبِيِّ منها هي مدخل إلى التشدد والبحث عن الكمال في العبادة، وكذلك الوسوسة التي تمس العقيدة وتشكك المؤمنين في دينهم:

المرهم الأول:

مفاده أن الوسوسة من الشيطان ومن الأفكار السلبية المتكررة على الذهن والتي هي من الشيطان، والغرض منها إفساد علاقة العبد بربه، بحيث يهيئ الشيطان للعبد أنه مسيء ودائم الإساءة، وأنه لم يؤد الفروض على وجوهها الصحيحة فيُزيد من قلق العبد المؤمن وسوسته، ويقول الإمـام: « لعلها آتية من لمة شيطانية قريبة من القلب، لذا فإن ضرر الوسوسة إنما هو في توهم الضرر، أي إن ضررها على القلب هو ما نتوهمه نحن من أضرارها، لأن المرء يتوهم تخيلًا لا أساس له كأنه حقيقة، ثم يُنْسَب إليه من أعمال الشيطان ماهو بريء منه، فيظن أن همزات الشيطان هي من خواطر قلبه هو، ويتصور أضرارها فيقع فيها، وهذا هو ما يريده الشيطان منه خاصة » [١].

(١) الكلمات، ص٣٠٥ .

المرهم الثاني:

إن المعاني ينتج عنها صور ذهنية تتوافق معها، من حيث المفهوم، يقول صاحب الرسائل: « عندما تنطلق المعاني من القلب تنفذ إلى الخيال مُجَردة من الصور، وتكتسي الأشكال والصور هناك، والخيال هو الذي يَنْسِج دائمًا ولأسباب معينة نوعًا من الصور، ويَعرِض ما يهتم به من الصور »[١].

وعلى هذا فإن الإمام يقدم لك علاجًا لهذا الألم المعنوي، فيقول: « كما لا يؤثر في صلاتك ولا يفسدها ما في جوفك من نجاسة، بل يكفي لها طهارة حسية وبدنية. كذلك لا تضر مجاورة الصور الملوثة بالمعاني المنزهة والمقدسة »[٢].

المرهم الثالث:

هناك تناقض بين الأفكار يطرأ على الذهن وينقلها من حال إلى حال، وتتداعي الأفكار فيما يختاره الذهن منها، وإذا مال قلب الإنسان المريض إلى الأفكار السلبية، فإنه يتعرض إلى ما يكره من خواطر، يقول صاحب الرسائل معالجًا ذلك: « فإياك إياك أن تقلق أو تجزع، بل عد إلى حالتك الفطرية حالما تنتبه لها، ولا تشغل بالك

(١) المصدر نفسه، ص ٣٠٥ .
(٢) المصدر نفسه، ص٣٠٥ .

قائلًا: لقد قصرت كثيرًا... ثم تبدأ بالتحري عن السبب.. بل مُر عليها مَرَّ الكرام؛ لئلا تقوى تلك العلاقات الواهية العابرة بتركيزك عليها، إذ كلما أظهرت الأسى والأسف وزاد اهتمامك بها، انقلب ذلك التخطر إلى عادة تتأصل تدريجيًا حتى تتحول إلى مرض خيالي، ولكن لا... لا تخشَ أبدا، إنه ليس بمرض قلبي، لأن هذه الهواجس النفسية والتخطر الخيالي هي في أغلب الحالات تتكون رغمًا عن إرادة الإنسان وهي غالبًا ما تكون لدى مرهفي الحس والأمزجة الحادة، والشيطان يتغلغل عميقًا مع هذه الوساوس، واعلم أنه لا مسئولية في تداعي الأفكار، لأنها لا إرادية غالبًا، إذ لا اختلاط ولا تماس فيها، وإنما هي مجرد مجاورة، ولا شيء بعد ذلك »[1].

المرهم الرابع:

الوسوسة الناجمة عن التشدد والبحث عن الكمال في العبادة، وهذا النوع من الوسوسة ينشأ عن توهم بعدم قضاء سنة أو فرض أو عدم إتمام الوضوء، ونحو ذلك، وللشيطان إلى جانب الأفكار السلبية في هذا النوع من الوسوسة مسلك، ودواء ذلك « إياك أن توسوس في صحة عملك، ولكن إياك أن تغتر به أيضًا، لأنك لا تعلم علم اليقين، أهو مقبول عند الله أم لا؟ وكذلك تعلم

(١) المصدر نفسه، ص٣٠٦ .

أن دين الإسلام دين يسر لا حرج فيه، وإن أدركت تقصيرًا تلافه بالاستغفار »[١].

المرهم الخامس:

بَيَّنَ الإمام درجة من الوسوسة تمس العقيدة وتَظهَر مختصة بالشبهات، وتجعل الإنسان يفكر تفكيرًا خاطئًا ويتصور بورود هذه الشبهات أنه قد كفر، وهنا يُبَيِّن الإمام أن توهُّم الكفر ليس كفرًا ويقول معالجًا ذلك النوع من الوسوسة: « إن كلًا من التخيل والتوهم والتصور والتفكر ليس بتصديق وإذعان، فلا يعد شبهة ولا ترددًا، لكن إذا تكررت هذه الحالة دون مبرر وبلغت حالة من الاستقرار في النفس، فقد يتمخض عنها لون من الشبهات الحقيقية »[٢].

وبذلك نكون قد بينا مفهوم الوسوسة عند الإمام، ونقول في ختامها لكل متوهم أو مريض بداء الوسوسة استبدل بالصورة الذهنية التي تهيئُ لك الأمور على غير حقيقتها صورة ذهنية تعينك على الاستمتاع بأوقاتك، واجهِض إحباط نفسك بكلام إيجابي أثناء حديثك لذاتك، ولا تعن نفسك الأمَّارة عليك، واستعذ بالله من شياطين الإنس والجن الذين هم مصدر الوساوس .

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٠٨ (بتصرف) .
(٢) المصدر نفسه، ص٣٠٩ .

الجلسة النفسية الثانية:

« علاج الخوف »

إن المرض قسمان: قسم حقيقي وآخر وهمي، أما القسم الحقيقي، كما ورد في الدواء العشرين، فإنه ينتج عن سوء الاستعمال وعدم الوقاية وإهمال الإرشاد والإسراف والسفاهة، أما القسم الوهمي من المرض، فإن علاجه المؤثر هو الإهمال، إذ يَكْبُرُ الوهمُ بالاهتمام، وإن لم يُعبأ به يصغر ويتلاش. فإنه إذا تعرض الإنسان لوكر الزنابير، تتجمع وتهجم عليه، وإن لم يهتم تتفرق عنه وتتشتت، فهذا المرض الوهمي كذلك إذا دام كثيرًا، فسينقلب إلى مرض حقيقي، فالوهم عند مرهف الحس عصبي المزاج مرض شديد جدًا.والقلق والاضطراب والتوهم حالات شعورية تدخل الإنسان في مخاوف شتى تزيد من المرض العضوي والنفسي لديه، والقلق والاضطراب أخف وطأة من التوهم، إذ إنهما ينجمان عن سبب حقيقي، كالأمراض والحرص على الدنيا، أما التوهم، فيكون ناجمًا عن سبب غير حقيقي، ويولَّد لدى الإنسان بجانب القلق والتوتر الشعور بالخوف.

وقد تناول الإمام المعالج سعيد النورسي في المكتوب التاسع والعشرين في القسم السادس الدسيسة الثانية ذلك

الشعور، فقال: « إن الشعور بالخوف شعور عميق في كيان الإنسان، وإن الطغاة والظالمين الماكرين يستغلون كثيرًا هذا الشعور لدى الإنسان، فيلجمون به الجبناء، بمثل شخص حيّال يظهر لأحدهم ما يخافه وهو على سطح دار، فيثير أوهامه ويدفعه تدريجيًا إلى الوراء حتى يقربه من الحافة فيرديه على عقبيه، فيهلك، وكذلك يثير أهل الضلالة عرق الخوف لدى الناس، فيدفعونهم إلى التخلي عن أمور جسام من جراء مخاوف تافهة لا قيمة لها، حتى يدخل بعضهم في فم الثعبان؛ لئلا تلسعه بعوضة! »[1].

وقد ذكر الإمام مثالًا فقال: « جئت ذات مساءٍ إلى جسر استانبول وبصحبتي عالم جليل - رحمه الله - يتهيب ركوب الزورق، ولكننا لم نجد وسيلة نقل سوى الزورق، ونحن مضطرون إلى الذهاب إلى جامع أبي أيوب الأنصاري، فألححت عليه، إذ لا حيلة لنا إلا ركوبه، فقال: أخاف ... ربما نغرق!

قلت له: كم يقدر عدد الـزوارق التي تغرق في هذا الخليج؟

قال: ربما ألف زورق.

قلت: كم زورقًا يغرق في السنة؟

---

(١) المكتوبات، ص٥٢٧ .

قـال: زورق أو اثـنـان، وقـد لا يغرق شيءفي بعض السنين.

قلت: كم يومًا في السنة؟

قال: ثلاثمائة وستون يومًا.

قلت: إن احتمال الغرق الذي استحوذ على ذهنك وأثار فيك الخوف هو احتمال واحد من بين ثلاثمائة وستين ألف احتمال، فالذي يخاف من هذا الاحتمال لا يعد إنسانًا ولا حيوانًا!

ثم قلت له: ترى كم تقدر أن تعيش بعد الآن؟

قال: أنا شيخ كبير ربما أعيش عشر سنوات أخرى!

قلت: إن احتمال الموت في كل يوم، أي لك ثلاثة آلاف وستمائة احتمال للموت، فليس أمامك إذن احتمال واحد من بين ثلاثمائة ألف احتمال – كما في الزورق – وإنما احتمال من بين ثلاثة آلاف احتمال، فلربما يقع الاحتمال هذا اليوم، فما عليك إذن إلا الهلع والبكاء وكتابة وصيتك »[1].

أثر هذا الكلام في الشيخ وعدَل عن أفكاره بعد قيام الإمام سعيد بتغيير إدراكه من خلال تحليل المعلومات واستبدال الصورة الذهنية الناتجة عن خطأ في التوهم وخوف غير مبررأدى إلى شدة توتره، ولما ركبا في الزورق،

(١) المصدر نفسه، ص٥٢٨، ٥٢٧ .

بدأ الإمام يطمئنه بعد إدخاله في التجربة مبينًا له الحكمة من الخوف قائلا: إن الله – سبحانه وتعالى – قد منحنا الشعور بالخوف؛ لنحفظ به الحياة، لا لهدمها وتخريبها.

ومن ثم فإن الخوف على وجهين: خوف محمود، وهو الخوف من الله، وكذلك الخوف المبني على الاحتمالات المنطقية التي يدفع بها الإنسان المخاطر عن نفسه، وخوف مذموم، وهو المبني على التوهم واللامنطق في التفكر الذي من شأنه دخول الإنسان في الأمراض والمشكلات التي لا طائل من ورائها، وعلى ذلك فإننا نعود إلى ما ورد إجمالًا في الأدوية الثلاثة، وهي: الدواء السادس والدواء العاشر والدواء الحادي عشر؛ لنقدم لكم تلك الرسائل العلاجية لكل قلِق ومضطرب ومتوهِم.

« أيها الأخ المضطرب من المرض بتذكر أذواق الدنيا ولذائذها! لو كانت هذه الدنيا دائمة فعلًا، لانخرطت في صفك، ولكن ما دامت الدنيا ستخرجنا منها قائلة « هيا اخرجوا » فعلينا نحن قبل أن تطردنا هي نابذة لنا أن نهجر عشقها والإخلاد إليها، فأنت قلق من وطأة المرض وشدته، فقلقك هذا يزيد ثقل المرض عليك، فإذا كنت تريد أن تخفف المرض عنك، فاسع جاهدًا للابتعاد عن القلق. أي تفكر في فوائد المرض وثوابه وفي حثّ الخطى إلى الشفاء.

فاجتث جذور القلق من نفسك؛ لتجتث المرض من جذوره، فمع أن المرض يعطيك ألمًا حاضرًا، فهو يمنحك في الوقت نفسه لذّة معنوية مستدرة من زوال مرضك السابق، ولكن لأنك تتوهم توهمًا خطأً، فإن الجزع ينتابك، فساعد نفسك ألا تتذكر بعد الآن المرض السابق وتتألم منه، فتفقد صبرك وينفد منك. »[1].

الجلسة النفسية الثالثة:

« جرعات علاجية مكثفة »:

لاحظت خلال قراءتي وتحليلي لأدوية الإمام أن هناك ألفاظًا تكررت تكرارًا ملحوظًا، وتدعو إلى الوقوف عليها، وانتقيت أبرزها، وهي الدعاء والصبر والشكر، فقد ذكر الأستاذ الدعاء ثماني وثلاثين مرة، والصبر سبع عشرة مرة والشكر إحدى وعشرين مرة.

الجرعة الأولى:

الدعاء:

ذكر الإمام كلمة (الدعاء) ثمان وثلاثين مرة؛ لأهميتها وتذكرة الناس بضرورة الدعاء، فالدعاء أكثر ما ينفق الإنسان فيه وقته آناء الليل وأطراف النهار قائما كان أو قاعدًا أو على غير ذلك من أوضاع، ويستجاب الدعاء

(١) اللمعات، ص٢٩٣، ٢٩٧، ٢٩٨ .

بالتأجيل أو التعجيل، فمن الناس من يؤجل الله له أجره إلى يوم القيامة ومنهم من يعجل لهم بالاستجابة في الدنيا، ولا تكون إجابة الدعاء معقودة على مراد الداعي، وإنما تكون على مراد المجيب سبحانه ومقتضى حكمته، والدعاء عبادة يحبها الصالحون، ولا يمل منها الموقنون، فادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

وبين الإمام بديع الزمان سعيد النورسي لجميع المبتلين في الدواء الخامس أن الابتلاء بالأمراض نوع من الهبة والإحسان الإلهي، وقال: « فقد التقاني بعض الشباب في هذه السنوات الثماني أو التسع يعانون المرض؛ ابتغاء دعائي لهم، رغم أني لست أهلًا لذلك، فلاحظت أن من كان منهم يعاني مرضًا هو أكثر تفكرًا في الآخرة وتذكرًا لها ».[1] وهنا يتبين تواضع الإمام الشديد، مع اهتمامه الكبير بأحوال الناس عامة والمرضى خاصة طيلة حياته.

وأورد الإمام في الدواء الرابع عشر قصة لامرأة أصيبت بالعمى سألته الدعاء، فلما دعا الله لها، شفيت بإذن الله، فخاف عليها حرمان الأجر يوم القيامة. أما في الدواء السابع عشر فقد ذكر الإمام أنه مصاب بآلام في الظهر لأكثر من ثلاثين عامًا، وقد سأل الله الشفاء، ولم يشف، ولحسن ظنه بالله أرجع عدم شفائه إلى ادخار

(١) المصدر نفسه، ص٢٩٣ .

الله له الأجر يوم القيامة. نخلص من هذا إلى أن الدعاء إما دعاء مستجاب في الدنيا أو مدخر للآخرة، وأن الداعي لابد أن يكون متواضعًا معلنًا عجزه وافتقاره إلى الله محسنًا الظن بالله.

الجرعة الثانية:

الصبر

ذكر الإمام كلمة « الصبر » في الأدوية سبع عشرة مرة؛ لأهميته عند وقوع البلايا والمصائب والأمراض، وفي المكتوب السادس عشر أورد بديع الزمان سعيد النورسي سؤالًا، وهو كيف تتحمل الضيق والمشاق التي تنزل بك؟ وقد أجاب الإمام علن ذلك بحادثتين وقعتا له أنقل لكم إحداهما وهي: « قبل سنتين ذكر مدير مسئول في غيابي كلمات ملفقة فيها إهانة وتحقير لي، دون سبب ومبرر، ونقل الكلام إلى، تألمت ما يقرب من ساعة بأحاسيس « سعيد القديم » ثم وردت برحمته سبحانه وتعالى إلى القلب حقيقة أزالت ذلك الضيق، ودفعتني لأصفح عن هذا الشخص، والحقيقة هي:

قلت لنفسي: إن كان تحقيره وما أورده من نقائص تخص شخصي ونفسي خاصة، فليرضَ الله عنه، إذ أطلعني على عيوب نفسي، فإن كان صادقًا، فسوف يسوقني

اعتراضه إلى تربية نفسي الأمارة وتأديبها، فهو إذن يعاونني في النجاة من الغرور، وإن كان كاذبًا، فهو عون لي أيضًا؛ للخلاص من الرياء ومن الشهرة الكاذبة التي هي أساس الرياء. نعم! إنني لم أصالح نفسي قط؛ لأنني لم أربها، فإن نبهني أحد إلى وجود عقرب في أي جزء من جسمي، فعلى أن أرضى عنه، لا أمتعض منه.

أما إن كانت إهاناته تعود لصفة كوني خادمًا للإيمان والقرآن، فتلك لا تعود لي، فأحيل ذلك الشخص إلى صاحب القرآن الذي استخدمني في هذه المهمة، فهو عزيز حكيم.

وإن كان كلامه لأجل تحقيري وإهانة شخصي خاصة والحط من شأني، فهذا أيضًا لا يخصني؛ لأنني أسير مكبل وغريب في هذا البلد، فالدفاع عن كرامتي ليس لي فيه نصيب، بل يخص من يحكم هذه القرية ثم القضاء ثم المحافظة التي أنا ضيف لديها، إذ إن إهانة أسير تعود إلى مالكه، فهو الذي يدافع عنه »[1].

ومن خلال تلك القصة يتبين أن الإمام بديع الزمان سعيد النورسي قد استخدم الأسلوب العلاجي الناجع، وهو تغيير الإدراك، حيث حلل الأحداث واستخرج منها الحكمة، ونَخْلُص من ذلك إلى أن تغيير الإدراك وفهم الحكمة يعين الإنسان على الصبر.

(١) المكتوبات، ص٨٣، ٨٢ .

نعم، إن الصبر يُنْبِتُ في القلب الرضا، والرضا دليل على أن الإنسان على فهم بمقتضى الحكمة الإلهية، ومن ثم يكون هذا الصبر لأصحابه عبادة، ويبلغ الصابرون عند ذلك محبة الله وحسن التوكل عليه ويكونون ممن قال الله فيهم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩) ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤٦) وتكون شكواهم إلى الله لا منه، ويسلمون إليه أمرهم تسليمًا، فهم يعلمون أن عدم الصبر يتضمن الشكوى من الله، وأن ذلك يعني انتقاد أفعاله واتهام رحمته لعدم فهم حكمته.

يقول بديع الزمان سعيد النورسي: « اعلموا أن الشكوى اعتراض على القدر، والشكر تسليم له »[1]، لذلك وعظ الإمام بالصبر الذي أمر الله به؛ لما فيه من فضل ولما يناله الصابرين أولو العزم من أجر.

الجرعة الثالثة:

الشكر:

ذكر الإمام كلمة « الشكر » إحدى وعشرين مرة في رسالة إلى المرضى، وحث الإمام عليه؛ لما يَعْقُبُ الشكر من بركة وزيادة في النعم، وبيَّن أن سبب ضياع النعم هو عدم تأدية الشكر الواجب عليها، « فاشكروا الله واعملوا صالحًا فإن الله شاكرٌ عليم »، يقول الإمام:

(١) الكلمات، ص٢٢٤ .

« إذا وجَدت من ابتلاك، عاد البلاء عطاءً في عطاء، وصفاءً في صفاء، دع الشكوى، واغنم الشكر، فالأزهار تبتسم من بهجة عاشقها البلبل »[١].

وقد يتساءل البعض كيف أشكر الله على الأمراض والابتلاءات؟! نعم، إنها مسألة صعبة للغاية، لكن مقصد الإمام من هذا أن المرض الذي يُبعِدك عن الشهوات والملذات وحب الدنيا ويجنبك السيئات بما فيه من ألمٍ ظاهرٍ يحميك من عذاب الله في الآخرة ومن الإفساد في الدنيا، ومن ثَم يُغلق أبواب الغفلة عن قلبك، ويجرى الله عليك الأجر، ويفتح أبواب التراحم بين الناس ومن كل هذا تتجلي أبواب الجمال وصفات الكمال.

ولتِبْيان ذلك يقول الإمام في الدواء التاسع عشر: « إن المرآة التي تعكس محاسن الجميل تصبح جميلة أيضًا، وإن كل شيء يصيب تلك المرآة من ذلك الجميل هو جميل كذلك، فكل ما يصيب الحياة جميل أيضًا من زاوية الحقيقة؛ ذلك لأنه يُظهر النقوش الجميلة لتلك الأسماء الحسنى الجميلة.

فلو مضت الحياة بالصحة والعافية على نسق واحد، لأصبحت مرآة ناقصة، بل قد تُشعر- في جهة ما - بالعدم والعبث، فتُذيق العذابَ والضيق، وتَهبط قيمةُ الحياة،

(١) المصدر نفسه، ص٢٢٤.

وتنقلب لذة العمر وهناؤه إلى ألم وغصَّة، فيُلقِي الإنسان بنفسه إما إلى أوحال السفاهة أو إلى أوكار اللهو والعربدة؛ ليقضي وقته سريعًا »[١].

الجلسة النفسية الرابعة:

« برقيات عزاء وسلوان علاجية عظيمة الفوائد »

« إن لقاء الأصدقاء ومجالسة الإخـوان منبع ثرٍّ للسلوان؛ لما يعاني منه الإنسان من سرعة تبدل هذه الحياة الدنيا ومن زوالها وفسادها ومن فنائها وفناء متعتها التي لا تجدي شيئا ومن صفعات الفراق والافتراق التي تنزلها بالإنسان »[٢].

وقد ذكر الإمام النورسي ثلاث تعزيات في رسائل النور الأولى لنفسه في منبع الثر والسلوان، وكان مفاد تعزيته لنفسه هو أنه لو مات الآن، لمات مطمئنا شاكرًا لأن رسائل النور بلغت مبلغها في القلوب، وأصبح لها طلاب يتعلمونها ويعلمونها ويدافعون عنها.

والعزاء الثاني كان « للحافظ علي » وقد اتخذ الأسلوب نفسه الذي واسى به نفسه في تلك التعزية، ووعظ طلاب الرسائل بعظات فريدة تحث على التعلم وتوريث العلم، وذلك في الشعاع الثالث عشر.

(١) اللمعات، ص٣٠٦ .
(٢) الشعاعات، ص ٣٤٥ .

العزاء الثالث: في المكتوب السابع عشر من المكتوبات، وكان عزاء لطفل، وبعد الاسترجاع بيّن الإمام الأمر لوالد الطفل في خمس نكات، حيث أخبره في الأولى أن الطفل من الولدان المخلدين في الجنة، أما في النكات الأربع التي لحقتها فقد عمل الإمام على تغيير إدراك الآباء المتوفى أطفالهم عامة ووالد الطفل خاصة، حيث بيّن الفرق بين حال هؤلاء الأطفال في الدنيا والآخرة وأحوال أهليهم عند وفاة أطفالهم بين الإيمان والغفلة، وبيّن أيضًا أهمية الشفقة بين الناس . ولا يفوتنا أن الإمام في النكتة الثانية ضرب مثلا بين فيه خفي ألطاف الله بأهل الطفل المتوفى، وكذلك بالعودة إلى عزاء الحافظ علي، فقد قص رؤيا لطالب علم بين فيها أن المرء يبعث على ما مات عليه، وسأضع بين أيديكم نص العزاءين؛ لما فيهما من فضل وسلوان بادئًا بالعزاء إلى طفل، ثم بالعزاء إلى الحافظ علي.

أولا العزاء إلى طفل:

« السيد الحافظ (خالد) يا أخا الآخرة العزيز!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (البقرة: ١٥٥ - ١٥٦)

أخي! لقد آلمني كثيرًا نبأ وفاة طفلكم، ولكن: الحكم لله، فالرضاء بقضائه والتسليم بقدره شعار الإسلام،

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقكم الصبر الجميل، وأن يجعل لكم المرحوم ذخرًا للآخرة وشفيعًا يوم القيامة.

وسنبين لكم ولأمثالكم من المؤمنين المتقين خمس نقاط تشع بشرى سارة وتقطر سلوانًا حقيقيًا لكم.

النقطة الأولى

إن معنى الآية الكريمة ﴿ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ (الواقعة: ١٧) وسرها هو هكذا:

إن أولاد المؤمنين المتوفين قبل البلوغ سيخلدون في الجنة أطفالًا محبوبين بما يليق بالجنة، وسيكونون مبعث سرور أبدي في أحضان آبائهم وأمهاتهم الذين مضوا إلى الجنة، وسيكونون مدارًا لتحقيق ألطف الأذواق الأبدية للوالدين، وهو حب الأطفال وملاطفة الأولاد.

وحيث إن كل شيء لذيذ موجود في الجنة، فلا صحة لقول من يقول: « لا وجود لمحبة الأطفال ومداعبتهم في الجنة؛ لخلوها من التكاثر والتناسل »، بل هناك الفوز العظيم بمحبة الأطفال وملاعبتهم بصفاء تام ولذة كاملة طوال آلاف السنين، من دون أن يشوبها ألم ولا كدر، بدلًا من محبتهم وملاعبتهم في عشر سنوات دنيوية قصيرة فانية مشوبة بالآلام، كل هذا تحققه الآية الكريمة بجملة

﴿ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ فتصبح أكبر مدار لسعادة المؤمنين، وتزف أعظم بشرى لهم.

النقطة الثانية

كان هناك ذات يوم رجل كريم في السجن، أُلحَق به ولده الحبيب أيضًا. فكان يتألم كثيرًا بمشقة عجزه عن تأمين راحة ابنه، فضلًا عن مقاساته آلامه الشخصية.

بعث إليه الحاكم الرحيم شخصًا؛ ليبلغه « إن هذا الطفل وإن كان ابنك، فإنه واحد من رعيتي وأحد أفراد أمتي، سآخذه منك؛ لأربيه في قصر جميل فخم »، بدأ الرجل بالبكاء والحسرة والتأوه، وقال: « لا. لا أعطي ولدي ولا أسلمه، إنه مدار سلواني! ».

انبرى له أصدقاؤه في السجن: ياهذا لا داعي لأحزانك، ولا معنى لتألمك، إن كنت تتألم لأجل الطفل، فهو سيمضي إلى قصر باذخ رحيب بدلًا من أن يبقى في هذا السجن الملوث المتعفن الضيق.

وإن كنت متألمًا لذات نفسك وتبحث عن نفعك الخاص، فإن الطفل سيعاني مشقات كثيرة، مع ضيق وألم شديدين، إذا بقي هنا؛ لأجل أن تحصل على نفع مؤقت ومشكوك فيه!، أما إذا ذهب إلى هناك فسيكون وسيلة

لألف نفع وفائدة لك، ذلك لأنه سيكون سببًا في در رحمة الحاكم لك، وسيصبح لك في حكم الشفيع، ولابد أن الحاكم سيرغب يومًا في أن يسعده باللقاء معك، ولا جرم أنه لن يرسله إليك في السجن، بل سيأخذك إليه ويخرجك من السجن ويبعثك إلى ذلك القصر؛ لتحظى باللقاء مع الطفل، إذا كنت ذا طاعة له وثقة به.

وفي ضوء هذا المثال يا أخي العزيز ينبغي أن يتفكر فيه أمثالك من المؤمنين، عندما يُتوفَّى أطفالهم، ويقولوا: إن هذا الطفل بريء، وإن خالقه رحيم وكريم، فبدلًا من رقتي المقصورة عليه، وبدلًا من تربيتي الناقصة له، فقد احتضنته الرحمة الإلهية، وضمته العناية الإلهية إلى كنفها العظيم، وأخرجته من سجن المشقات والمصائب والآلام الدنيوية وأرسلته إلى ظلال جنة فردوسه العظيم، فهنيئا لذلك الطفل!

ومن يدري ماذا كان يعمل وكيف كان يتصرف لو ظل في هذه الدنيا؟ لذا فأنا لست متألمًا عليه، بل أراه سعيدًا محفوظًا، أما تألمي لنفسي خاصة، فلا أتألم لها ألمًا شديدًا، فيما يخص متعتي الخاصة، إذ لو كان باقيًا في الدنيا، لكان يضمن لي محبة الأولاد وملاعبتهم المؤقتة زهاء عشرة أعوام، وهي مشوبة بالآلام، ولربما لو كان صالحًا بارًا،

وكان ذا قدرة في أمور الدنيا، لكان يمكنه أن يعينني ويتعاون معي، إلا أنه بوفاته فقد ضمن لي محبة الأولاد لعشرة ملايين من السنين وفي الجنة الخالدة، وأصبحُ مشفعًا للدخول إلى السعادة الأبدية، فلا أكون إذن شديد التألم عليه حتى على حساب نفسي كذلك؛ لأن من غابت عنه منفعة عاجلة مشكوك فيها، وربح ألف منفعة آجلة محققة الحصول، فلن يظهر الأحزان الأليمة، ولن ينوح يائسا أبدا!

النقطة الثالثة

إن الطفل المتوفَّى .. ما كان إلا مخلوقًا لخالق رحيم وعبدًا له، وبكل كيانه مصنوعًا من مصنوعاته سبحانه وصديقًا مودعًا من لدنه عند الوالدين؛ ليبقى مؤقتا تحت رعايتهما، وقد جعل سبحانه أمه وأباه خادمين أمينين له، ومنح كلا منهما شفقة مَلذَّة، وأجرة عاجلة إزاء ما يقومان به من خدمة.

والآن. فإن ذلك الخالق الرحيم الذي هو المالك الحقيقي للطفل وله فيه تسع وتسعون وتسعمائة حصة، ولوالده حصة واحدة إذا ما أخذ بمقتضى رحمته وحكمته ذلك الطفل منك مُنْهِيًا خدماتك له، فلا يليق بأهل الإيمان أن يحزنوا يائسين ويبكوا صارخين بما يومئ إلى الشكوى

أمام مولاهم الحق صاحب الحصص الألف، مقابل حصة صورية، وإنما هذا شأن أهل الغفلة والضلالة.

النقطة الرابعة

لو كانت الدنيا أبدية أبد الآباد، ولو كان الإنسان فيها خالدًا مخلدًا، أو لو كان الفراق أبديًا، إذن لكان للحزن الأليم والأسف اليائس معنى ما، ولكن ما دامت الدنيا دار ضيافة، فأينما ذهب الطفل المتوفَّى، فكلنا نحن وأنتم كذلك إلى هناك راحلون لا مناص.

ثم إن هذه الوفاة ليست خاصة به هو وحده، بل هي طريق يسلكه الجميع، ولما لم يكن الفراق أبديا كذلك، بل سيحدث اللقاء في البرزخ وفي الجنة؛ لذلك ينبغي القول: الحكم لله.. إن لله ما أخذ وما أعطى، مع الاحتساب والصبر الجميل والشكر قائلين: الحمد لله على كل حال.

النقطة الخامسة:

إن الشفقة التي هي ألطف تجليات الرحمة الإلهية وأجملها وأطيبها وأحلاها.. لهي إكسير نوراني، وهي أنفذ من العشف بكثير، وهي أسرع وسيلة للوصول إلى الحق تبارك وتعالى.

نعم، مثلما أن العشق المجازي والعشق الدنيوي، بمشكلات كثيرة جدًا، ينقلبان إلى « العشق الحقيقي »

فيجد صاحبه الله جل جلاله، كذلك الشفقة، ولكن بلا مشكلات وتربط القلب بالله – سبحانه – ليوصل صاحبه إلى الله جل وعلا بأقصر طريق وأصفي شكل.

والوالد والوالدة على السواء يحبان ولدهما بملء الدنيا كلها، فعندما يؤخذ الولد من أي منهما، فإنه إن كان سعيدًا ومن أهل الإيمان يعرض وجهه عن الدنيا ويدير لها ظهره فيجد المنعم الحقيقي حاضرًا فيقول: ما دامت الدنيا فانية زائلة، فلا تستحق إذن ربط القلب، فيجد إزاء ما مضى إليه ولده علاقة وثيقة ويغنم حالة معنوية سامية.

إن أهل الغفلة والضلالة لمحرومون من السعادة، هذه الحقائق الخمس وبشرياتها، فقيسوا على ما يأتي مدى ما هم فيه من أحوال أليمة، عندما تشاهد والدة عجوز طفلها الوحيد الذي تحبه حبًا خالصًا يتقلب في السكرات، يذهب فكرها حالًا إلى رقوده في تراب القبر، بدل فراشه الناعم الوثير، فلم تتصور الموت عدمًا وفراقًا أبديًا، لتوهمها الخلود في الدنيا، نتيجة الغفلة والضلالة؛ لذا لا يخطر على بالها رحمة الرحمن الرحيم ولا جنته ولا نعيم فردوسه المقيم، فأنت تستطيع أن تقيس من هذا مدى ما يعانيه أهل الضلالة والغفلة من ألم وحزن يائس بلا بصيص من أمل.

في حين أن الإيمان والإسلام، وهما وسيلتا سعادة الدارين يقولان للمؤمن:

إن هذا الطفل الذي يعاني ما يعاني من سكرات الموت سيرسله خالقه الرحيم إلى قدس جنته، بعدما يخرجه من هذه الدنيا القذرة، زد على ذلك أنه سيجعله لك مُشفِّعًا، كما سيجعله لك ولدًا أبديًا، فلا تقلق إذن ولا تغتم، فالفراق مؤقت، واصبر قائلا: الحكم لله. »[1].

ثانيًا العزاء إلى الحافظ علي:

« إخوتي الأعزاء الأوفياء!

لكل مصيبة نقول:

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (البقرة: ١٥٦)

أُعَزِّي نفسي وأُعَزِّيكم وأُعَزِّي رسائل النور، ولكني أهنئ المرحوم « الحافظ علي » وأهنئ مقبرة « دنيزلي » لأن أخانا الرائد الذي أدرك حقيقة « رسائل الثَمَرة » عِلمَ اليقين، قد تَرك جسده في القبر صاعدًا كالملائكة إلى النجوم وعالم الأرواح، لأجل الارتقاء إلى مقام عين اليقين وحق اليقين، وخَلُدَ إلى الراحة والسكون متسرحًا عن وظيفته التي أدَّاها حق الأداء. »

ودعا الإمام للحافظ علي بما شاء الله له أن يدعو، ثم وَجَّه خطابه إلى طلاب رسائل النور قائلًا:

---

(١) المكتوبات، ص ٩٩- ١٠٣.

« أما أنتم فيا إخوتي، اذكروه في أدعيتكم، كما أذكره أنا، مستعملين أَلْفَ لسان عوضًا عن لسانه، راجين من رحمته تعالى أن يكسبه أَلْفَ حياة وأَلْفَ لسان، بدلًا عمَّا فقده من حياة واحدة ولسانٍ واحد.

يا إخوتي الأعزاء الأوفياء!

نحمد الله سبحانه وتعالى بما لا يتناهي من الحمد والشكر على ما يسر لنا من نيل شرف المقام الرفيع لطلبة العلوم وأعمالهم الجليلة بوساطتكم في هذا الزمان العجيب والمكان الغريب، ولقد ثبت بوقائع عديدة بمشاهدة أهل كشف القبور، أن طالب علم جادًّا تواقًا للعلوم عندما يتوفَّى أثناء تحصيله لها، يرى نفسه كالشهداء حيا يرزق، ويزاول الدرس، حتى إن أحد أهل كشف القبور المشهورين قد راقب كيفية إجابة طالب علم متوفًّى في أثناء دراسته لعلم الصرف والنحو، لأسئلة الملكين « منكر ونكير » في القبر، فشاهد أنه عندما سأله الملك: من ربك؟ أجاب: من: مبتدأ، ربك: خبره، وذلك على وفق علم النحو، يحسب نفسه أنه ما زال في المدرسة يتلقى العلم.

فباء على هذه الحادثة، فإني أعتقد أن المرحوم الحافظ عليًا منهمك برسائل النور، كما كان دأبه في الحياة، وهو على هيئة طالب علم يتلقى أرفع علم وأسماه، وقد تنزل مرتبة الشهداء حقا ويزاول نمط حياتهم.

وبناء على هـذه القاعدة أدعـو له في أدعيتي، وأدعو لمثليه «محمد زهدي» و«الحافظ محمد» قائلا: «يارب سخر هؤلاء إلى يوم القيامة؛ لينشغلوا بحقائق الإيمان وأسرار القرآن ضمن رسائل النور بكمال الفرح والسرور... آمين. إن شاء الله

باسمه سبحانه

إخوتي الأعزاء الأوفياء!

إنني لا أستطيع نسيان الأخ «الحافظ علي» وقد هزّني ألم فراقه هزًا عنيفًا، وأحسب أن ذلك المرحوم قد رحل بدلا مني، كما كان أشخاص مضحون يتوفون أحيانًا بدلًا من أصحابهم، فلولا أن قام أمثالكم بما قام به هو من خدمات جليلة وعلى نسقه، لَلَحق العمل للقرآن وللإسلام ضرر كبير، وإنني كلما تذكرت وارثيه، وهُم أنتم، زالت تلك الآلام وتركت مكانها للسرور والانشراح.

وإنه لأمر محير أن يتولد لديّ حاليًا شوق؛ للذهاب إلى ذلك العالم، عالم البرزخ الذي ذهب إليه أخونا بحياته المعنوية، بل المادية، وانكشف لروحي مشهد آخر.

وكما نتحاور ونتسامر مع إخوتنا في «إسبارطة» بالمراسلات ونحن مازلنا هنا، ونهدي لهم التحيات ونتجاذب أطراف الحديث معهم، كذلك عالم البرزخ

الذي سكن فيه « الحافظ علي » قد أصبح في نظري مثل « إسبارطة » و« قسطموني ». حتى طرق سمعي أنه قد رحل أحدهم هذه الليلة إلى هناك « أي تُوفِّي » فتأسف أكثر من عشر مرات: لِمَ لَمْ أبعث معه السلام إلى « الحافظ علي »؟ ثم أخطر إلى القلب: لا حاجة إلى وسائط لإبلاغ السلام. فإن رابطته كالهاتف، فضلًا عن أنه يأتي ويستلم!

إن ذلك الشهيد العظيم قد حبب إليَّ مدينة « دنيزلي » فلا أرغب في مغادرتها، إن ما أنجزه « محمد زهدي » و« الحافظ محمد » من خدمات في سبيل الإيمان والنور يدوم بإذن الله، وهم يشاهدونها من أقرب موضع، وربما يعاودون إنجازها.

ولما كانوا قد أخذوا مواقع رفيعة لدى دائرة الأولياء العظام من حيث خدماتهم الجليلة فأنا أذكر ذينك الاثنين مع « الحافظ محمد » ضمن سلسلة الأقطاب وأبعث إليهم هدايانا. »[1].

(١) الشعاعات، ص٣٦٣- ٣٦٥ .

جلسات خاصة

الجلسة الخاصة الأولى:

جلسة خاصة مع المعتنين بالمرضى:

« أيها الممرضون المعتنون بالأطفال المرضى الأبرياء وبالشيوخ الذين هم في حكم الأطفال عَجْزًا وضعفًا! إن بين أيديكم تجارة أُخْروية مهمة، فاغتنموا تلك التجارة، وليكن شوقكم إليها عظيمًا وسعيكم حثيثًا »[1].

هكذا يبدأ بديع الزمان الدواء الرابع والعشرين من رسالته إلى الممرضين، ومن هذا المنطلق فإنني أبدأ بهذه الكاشفة الموجعة أو المؤلمة: إن كثيرًا من الآباء أثناء تربيتهم لأبنائهم يهينونهم بدعوى التأديب ويعاقبونهم ويحرمونهم الكثير من الأشياء دونما مبرر، ويرجع ذلك إلى سوء تربية هؤلاء الآباء في الأصل، حيث إنهم كانوا يعامَلون من آبائهم بالمعاملة السيئة نفسها، وقد أكسبهم ذلك أمراضًا نفسية وعللًا اجتماعية.

وعندما يكبر الأبناء، تُصبح لديهم قسوة على آبائهم خاصة، والكبار عامة، فلا يقومون على بِرهم وخدمتهم، ويشتكي الآباء والشيوخ من هذا البلاء، وهم أصله،

(١) اللمعات، ص٣١٠.

لذا لَمَّا حثَّ الله الأبناء على حسن معاملة الآباء وبِرِّهم، قال: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ (النساء: ٣٦)، فالإحسان عطاء عن زيادة لمن يستحق، ومن لا يستحق، والمحسن لا يرجو ردَّ إحسانه إلا من الله، بحيث لا يَرُد الابن إساءة أبيه له بالإساءة بل يستبدل الإحسان بها، ولا يحرمه ما يشتهيه ويحتاجه في الكبر وقد حثنا الرسول ﷺ على توقير كل كبير والرحمة بالصغير فالرحمة أوسع من العدل وأشمل، ورحمة العبد بالعبد توجب رحمة الرب ، « إن الله قريبٌ من المحسنين » .

يقول صاحب الرسائل بديع الزمان في المكتوب الحادي والعشرين من المكتوبات: اعلم أن عمود بيتك وبركته هو ذلك الشيخ أو الأعمى الذي تستثقل خدمته، وقد أقسم بالله على حقيقة بركتهم . وهذا نادر في كتابات الإمام أن يقسم على شيء ويؤكد عليه وقال: « إن الخالق ذا الجلال حينما يرسل الأطفال إلى الدنيا، فإنه يرسل أرزاقهم عقبهم مباشرة في منتهي اللطف، كانقذاف ما في الأثداء وتفجيره، كالينابيع إلى أفواههم، كذلك فإن أرزاق العجزة الذين دخلوا في عداد الأطفال، بل هم أحق بالمرحمة وأحوج إلى الرأفة يرسلها لهم – سبحانه وتعالى – بصورة بركة، ولا يُحمَّل الأشحاء من الناس إعاشة هؤلاء ولا يدعها لهم »[1].

(١) المكتوبات، ص ٣٢١ .

وعلى ذلك فإن الله يرحم الرحماء من عباده، ولا يكفي طلب الرحمة للوالدين أو العجزة من المرضى فقط، بل تجب رحمتهم من خلال رعايتهم لمن أراد الدنيا والآخرة، والله كفيل بالأرزاق.

والخلاصة أن البر والإحسان لا يبليان وينفعان القائم بهما، فعلى كل ذي فضل أن يتفضل، وعلى كل ذي إحسان أن يحسن، والجزاء من جنس العمل.

الجلسة الخاصة الثانية:

جلسة خاصة مع الأطباء:

إن أساس المسلك والمنهج وأسلوب التعاون والتعامل بين الناس عامة وعلاقة المريض بالطبيب أو المعالج خاصة هو العلاقة الأخوية، وليس علاقة الآباء بالأبناء أو العكس، وأساس المعاملة الأخوية يبني على الإخلاص والشعور بالمسئولية تجاه المرضى والغيرة على مصلحتهم، بأن يضع الطبيب أو المعالج نفسه مكان المريض.

وقد ذكر الإمام لفظ «الأخوة» في رسالته إلى المرضى اثنتي عشرة مرة من أصل خمسة وعشرين دواءً؛ لأهمية الأخوة، من حيث الدلالة . ففي عالم تزداد فيه الأمراض المعنوية القلبية منها والنفسية وكذلك الأمراض

العضوية يفتقد الناس الأمان تجاه بعضهم بعضًا ويتسارع كثير من الأطباء إلى المادة بسبب شعورهم بالاستغناء وغرورهم وأنانيتهم وتسابقهم إلى الفوز بالشهرة وحبهم الشديد للدنيا.

يقول الإمام النورسي في الملاحق في فقه دعوة النور في رسالة إلى طبيب: « يا أخي! اعلم أن الحياة أثمن شيء في عالم الموجودات، وأن ما يخدم الحياة هو أرقى واجب من بين الواجبات كلها »[١].

نعم إن إحياء النفس ضرورة على كل قادر، وأنت أيها الطبيب من أقدر الناس على ذلك؛ لما آتاك الله من علم؛ لذلك ذكّر الإمام الأطباء بهذا الشرف الذي التزموا به عند قسمهم، كما أن المرضى يحبون من يستمع إلى شكواهم ويعينهم على بلواهم ويدخل في قلوبهم الأمل، فلا تبخل أيها الأخ الطبيب الطيب على مرضاك بذلك لما تمتلكه من قصص مماثلة لتلك الحالات الماثلة بين يديك التي من خلالها تستطيع تغيير إدراك مرضاك ودفعهم نحو الصبر والشكر والرضا، كما أشار إلى خطورة حصر الهم والعلم في هذه الحياة الفانية والغرق في مستنقع المادية؛ لأن ذلك يُحمِّل المرضى أعباء لا طاقة لهم بها، وبهذا يتملكهم اليأس والإحباط، وأشار إلى أن من يفعل ذلك من الأطباء هو

(١) الملاحق، ص ٤٢ .

من الغافلين عن الآخرة، وقد استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير «كمن يستبدل برقا خاطفا بشمس سرمدية».

الجلسة الخاصة الثالثة:

جلسة مع الإمام سعيد النورسي:

في هذه الجلسة مع الإمام نتناول طائفة من اللطائف والكلم الطيب، ذكر الإمام جملة من الأمراض العضوية والنفسية داخل رسالته إلى المرضى، وذلك بغرض العلاج على وجهين: الأول بيان أجرها، والثاني الاستئناس بقصة صاحب المرض واستخلاص العبرة منها، أما الأمراض العضوية فهي سبعة أمـراض: العمى «كف البصر» وذلك في الدواء الرابع عشر، والأمراض التي تتمخض عن الولادة وغصص البطن والغرق والحرق والطاعون، وذلك في الدواء الخامس عشر، وآلام الظهر، وهذا المرض كان يعاني منه الإمام وذكره في الدواء السابع عشر، الشلل وذلك في الدواء الثاني والعشرين.

وذكر الإمام أمراضًا نفسية صريحة، حيث ذكر القلق في الدواء السادس والاضطراب في الدواء العاشر والتوهم في الدواء الحادي عشر، وبذلك تكون جملة الأمراض البدنية والنفسية المذكورة صراحة في الأدوية ثلاثة عشر مرضًا.

وأبدأ ببعض اللطائف الخفيفة اللافتة للنظر خلال ذِكره لتلك الأمراض، فقد لاحظت أن الإمام تكلم عن العميان ثلاث مرات، وفق قراءتي لرسائل النور حتى الآن: أولاها: أنه في إحدى الرسائل أشار إلى أن العميان يضاعف لهم أجرهم جزاءً على صبرهم، وكذلك تضاعف لهم الأبصار في حياة البرزخ ويمتعهم بها في الآخرة. والثانية: أن الأستاذ روى قصة في الدواء الرابع عشر من اللمعة الخامسة والعشرين، حيث قال: « لقد أصيبت عمة سليمان، وهو من بارلا الذي ظل يخدمني دون أن يملني يومًا أو يتضايق بشيء مني طوال ثماني سنوات خدمة مقرونة بكمال الوفاء والاحترام. أصيبت هذه المسكينة بالعمى فانطفأ نور عينها، ولفرط حسن ظن تلك المرأة الصالحة بي أكثر مما أستحق تشبثت بي وأنا أغادر المسجد قائلة: بالله عليك ادعُ الله لي من أجل عيني، وأنا بدوري جعلت صلاح تلك المرأة المباركة المؤمنة قرينًا وشفيعًا لدعائي، فدعوت الله بتضرع وتوسل قائلا: اللّهم يا ربنا برحمة صلاحها اكشف عن بصرها، وفي اليوم التالي جاء طبيب من ولاية بوردور القريبة وهو مختص بالعيون، فعالجها، فرد الله عليها بصرها، وبعد أربعين يومًا عادت عينها إلى حالتها الأولى، فتألمت لذلك كثيرًا ودعوت كثيرًا وأرجو أن يكون دعائي مستجابًا على حساب آخرتها،

وإلا فإن دعائي ذلك سيصبحَ خطأً دعاءً عليها، حيث قد بقيت لتستوفي أجلها أربعين يومًا فقط، إذ بعد أربعين يومًا مضت إلى رحمة الله »[١].

أما الموضع الثالث الذي ذكر فيه العميان إلى جانب الشيوخ والمرضى فهو في المكتوب الواحد والعشرين، حيث قال: « إن البركة توجد في البيوت ببركة العميان الذين يقوم الناس على خدمتهم ».

وكما أن العمى من الأمراض العضال على أغلب الأحيان فكم من الناس الذين أصيبوا بأمراض عضال أصبح لهم عطاءٌ علمي وأداءٌ متميزٌ في خدمة الناس، والأمثلة الدالة على ذلك كثيرة، ولكنني أسوق ما ذكره الإمام في الدواء الثالث عشر، حيث قال: « كان هناك فَتَيان- يرحمهما الله - أحدهما يدعى « صبري » من قرية « إيلاما » والآخر « مصطفى وزير زاده » من « إسلام كوي » ورغم كونهما أميَّين من بين طلابي، فقد كنت ألحظ بإعجاب موقعهما في الصف الأول في الوفاء والصدق وفي خدمة الإيمان، فلم أدرك حكمة ذلك في حينها، ولكن بعد وفاتهما علمت أنهما كانا يعانيان من داءين عضالين، وبإرشاد من ذلك المرض أصبحا على تقوى عظيمة يسعيان

(١) اللمعات، ص٣٠٠.

في خدمة راقية وفي وضع نافع لآخرتها، على خلاف سائر الشباب الغافلين الساهين حتى عن فرائضهم »[١].

وللأمراض العضال أجور خاصة تنفرد بها عن غيرها من الأمـراض، وقد ذكر الإمام ذلك في الدواء الخامس عشر والدواء الثاني والعشرين من اللمعة نفسها، وبشر أولائك المرضى وغيرهم من المصابين بالأمراض والأوبئة الشديدة الخطرة ببركة مرضهم وجليل قدْرِهم عند الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة، حيث قال في الدواء الخامس عشر: « هناك أمراض إذا أعقبتها المنية يكلل صاحبها بشهادة معنوية تجعله يحرز مقام الولاية لله، وهي تلك الأمراض التي تتمخض عن الولادة وغصص البطن والحرق والطاعون، فهذه الأمراض إذا مات بها صاحبها فإنه سيرتفع إلى درجة الشهيد المعنوي، فهناك أمراض كثيرة ذات بركة تكسب صاحبها درجة الولاية بالموت الذي تنتهي به، ولما كان المرض يخفف من شدة حب الدنيا وغلوائها ومن عشقها والعلاقة الشديدة بها، يخفف كذلك الفراق الأليم والمر لأهل الدنيا وهم يغادرونها بالموت، بل قد يحببه إليهم »[٢].

وأضاف في الـدواء الثاني والعشرين « أيها الأخ المريض بداء عضال، كالشلل! إنني أبشرك أولًا بأن الشلل

(١) المصدر نفسه، ص٢٩٩ .
(٢) المصدر نفسه، ص٣٠٢ .

يعد من الأمراض المباركة للمؤمن، لقد كنت أسمع هذا منذ مدة من الأولياء الصالحين، فكنت أجهل سره، ويخطر الآن أحد أسراره على قلبي هكذا:

إن أهل الولاية قد تعقبوا بإرادتهم أساسين مهمين؛ للوصول إلى الحق تبارك وتعالى نجاة من أخطار معنوية عظيمة ترد من الدنيا وضمانًا للسعادة الأبدية فيا أخي الذي فقد من كيانه نصف صحته، إن النفس الأمارة لا تتمكن بالشهوات الرذيلة أن تخدع من هو نصف إنسان، فينجو من بلائها وشرها بسرعة، والمؤمن بسر الإيمان والاستسلام والتوكل يستفيد من داء عضال، كالشلل بأقصر وقت استفادة المجاهدين من أهل الولاية بالرياضة في المعتكفات، فيخف عليه ذلك الداء. »[1].

وخلال قراءتي لرسائل النور عامة ولهذه الرسالة خاصة لحظت أن الإمام بَيَّن جملًا من الإعجاز في الحروف والأرقام، فكان لزامًا عليَّ أن أقف عند بعض الأرقام مظهرًا بعض أسرارها:

١ - ذكر الإمام في رسالته إلى المرضى لفظ « الأخوة » اثنتي عشرة مرة، وتوافق هذا الرقم مع عدد العوامل التي استخلصتها من اللمعتين العشرين والحادية والعشرين الخاصة بالإخلاص التي أطلقنا عليها مفاتيح الإخلاص.

(١) المصدر نفسه، ص٣٠٩ .

٢- بعد انتخاب عـدد من الألفاظ ووضعها جرعات مكثفة تبيَّن لي سر رقمي آخر، حيث إن كلمة « الدعاء »تكرر ذكرها في الرسالة ثماني وثلاثين مرة، وكلمة « الصبر » تكررت سبع عشرة مرة، وكلمة « الشكر » تكررت إحدى وعشرين مرة، وبجمع عدد تكرار لفظي « الصبر » و« الشكر » يتضح أنهما تكررا ثماني وثلاثين مرة، وهذا يحدث اتزانًا مع تكرار كلمة « الدعاء » الذي سبق وأن ذكرنا أنه تكرر ثماني وثلاثين مرة.

٣- إن الأدويـة خمسة وعشرون دواء، وهو رقم اللمعة الواردة فيها تلك الأدوية، وقد توافق هذا مع الكلمة الخامسة والعشرين الخاصة بالإعجاز القرآني، من حيث الرقم، وفي هذا إعجاز على وجهين: الأول عام: وهو أن كل رسائل النور مستنبطة من فيض القرآن الكريم، والثاني خاص: وهو أن هذه الكلمة التي تختص بالإعجاز القرآني تتوافق مع الأدوية المليئة بالفيوضات الربانية الخالصة والمستخلصة من القرآن والسنة والخبرات العملية لدى الإمام بديع الزمان سعيد النورسي التي اعتمدت على العلاج بالإيمان وتغيير الإدراك .

أما الرقم الثاني فهو السادس والعشرين فقد جمعنا الدواء السادس مكررًا، كما بيَّنا آنفًا، فأصبح عدد الأدوية ستة وعشرين دواءً، وهذا متوافق مع الكلمة السادسة

والعشرين الخاصة بالقدر وقد بيَّنا في الوقفات الثلاث أن الأمراض والابتلاءات والبلاء والدواء والشفاء وجميع الأفعال والأحوال في الدنيا تحدث بقدر الله جل في علاه .

ولطائف الإمام كثيرة يصعب حصرها، رغم تدوين الكثير منها، فقد كان رحمة الله عليه إذا حثّ الناس، حثهم على الخير، وإذا ذكَّرهم، ذكَّرهم بالخير، وبعد تلكم اللطائف القليلة نشكر للإمام جهده ونحمد الله أن بلغنا علمه، والله ولي التوفيق.

جملة الفوائد:

أختم هذا العمل بجملة من الفوائد، بعضها مجموع من اللمعة الخامسة والعشرين، وبعضها مجموع مما كتبت داخل هذا العمل، والبعض الآخر كُتِبَ خصيصًا لهذا المقال، وأُقَدِم ذلك كله على هيئة فاصل من الحكم، وأبين أن الحكم المجموعة داخل اللمعة الخامسة والعشرين – كما ذكر الإمام – هي بعض من الجمل غير المألوفة على الآذان والتي جمعتها من الأدوية، ووضعت حرف « د » ليكون رمزا لكلمة « الدواء » فإذا وجدتني أكتب د « ٥ » فإني أعني بذلك الدواء الخامس، وهكذا:

د « ٥ » مرضك إنما هو بمنزلة صحةٍ لك، والصحة التي يتمتع بها قسم من أمثالك إنما هي بمثابة مرض لهم.

د « ٨ » إن ألم الأمـراض المادية الجزئية يذوب وينسحق تحت وابل السرور المعنوي والشفاء اللذيذ القادمين من الإيمان.

د « ١٠ » اجتث جذور القلق من نفسك؛ لتجتث المرض من جذوره.

د « ١٠ » إذا كان الشكر يزيد النعم، فالشكوى كذلك تزيد المرض والمصيبة، هذا وإن القلق في حد ذاته مرض، وعلاجه في معرفة حكمة هذا المرض.

د « ١٠ » إن القلق أو الوسوسة يضاعف مرضك، ويجعله مرضين؛ لأن القلق يبث في القلب -تحت وطأة المرض المادي- مرضًا معنويًا.

د « ١١ » مع أن المرض يعطيك ألمًا حاضرًا، فهو يمنحك في الوقت نفسه لذةً معنويةً مُستدِرَّة من زوال مرضك السابق، مع لذةٍ روحيةٍ نابعة من الثواب الحاصل من جراء ذلك المرض.

د « ٢٤ » إن أمراض الأطفال الأبرياء هي حقنات تربية ربانية لأجسادهم الرقيقة؛ للاعتياد عليها وترويضهم بها؛ لمقاومة مشقات الحياة في المستقبل[١].

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣١٠.

وأقول:

١- الابتلاء يلزمه الدعاء، والاستجابة يلزمها الصبر، والشكر تاج المبتلين.

٢- إن تغيير الإدراك يؤدي إلى الصبر ويُنْبِتُ في القلب الرضا، والرضا دليل على أن الإنسان على فهم بمقتضى الحكمة الإلهية.

٣- الشعور بالعجز والافتقار دليل على فهم الحكمة والتفكر في النوازل.

٤- الإيمان بالقدر خيره وشره دليل على فهم دوره، فالقدر فيه حكمة بالغة، فهو للرحمة تارة وللتأديب تارة أخرى.

٥- الرضا تمام فهم الحكمة، والقناعة شعور بالكفاية.

٦- كمال الأنوار بالعلم، وتمام الأخلاق بالحلم.

٧- التأمل في الكون راحة وعبادة، وحب الناس ومساعدتهم يدخلان في القلب السعادة.

٨- غِنىَ الفقراء في عافيتهم، وفقر الأغنياء في مرضهم.

٩- منحة الغني المريض من الله في قدرته على النفقة، ومنحة الفقير من الله فيصرف الناس إليه بالصدقة.

خاتمة

بعد استعراضنا لجماليات الرسالة ذات الفكر النورسي الخالص وتأَمُّلِنا فيها قدر المستطاع، وجبت الخاتمة، وقد اعتدنا على خواتيم تلخص ما سبق طرحه وعرضه في البحث. لكنني فضلت عدم التلخيص لما سبق عرضه، حتى لا أفضل نقطة على أخرى، وحتى لا يعتري تلخيصي نقصان مخل، واخترت أن تكون الخاتمة ذات نهاية مفتوحة، حتى يتحقق للقاريء حرية التأمل، وأنوه إلى أنني لم أتدخل في التركيبة المعنوية للدواء بالزيادة أو النقصان، حيث تركتها على ما كانت عليه، والمادة الفعالة كذلك مُذ خروجها من المعمل النورسي، فمثلي كمثل رجل يعمل في شركة دواء، فيذهب بالأدوية للأطباء؛ كي يعرضها عليهم، من حيث الوصف الدوائي والأثر المترتب عليه.

فما ينبغي على الرجل هو الأمانة وحسن العرض، وما ينبغي على الطبيب هو حسن الاستقبال والنظر في مصلحة المريض، ومن ثم يتناول المرضى الدواء بثقة في الشركة والطبيب. واللهَ أسأل أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل وختامًا أرجو أن أكون وُفِقْت في شرح

الأدوية التي كانت حاضرة البحث وتحليلها، ورحم الله الإمام **سعيد النورسي** على ما ترك من إرثٍ علمي ثقيل، وحفظ الله طلاب رسائل النور، وأعان القائمين على حفظ الرسائل وتوصيلها، وأسأل الله للمرضى الشفاء من كل داء، والحمد لله رب العالمين.

السيد الشيشيني

قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

٢- بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، الطبعة السابعة (٢٠١٣).

٣- بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، الطبعة السابعة (٢٠١٣).

٤- بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، الطبعة السابعة (٢٠١٣).

٥- بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ترجمة احسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، الطبعة السابعة(٢٠١٣).

٦- بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، الطبعة السابعة (٢٠١٣).

٧- السيد الشيشيني: التسويق الاستراتيجي للجمعيات والمؤسسات الخيرية للمعاقين وحقوقه، الطبعة الأولى، الاتحاد العربي للثقافة والإبداع .

قائمة الشكر والتقدير

أشكر المولى عز وجل على أن وفقنا لإخراج هذا العمل وأتقدم بالشكر إلى الوالدين ثم إلى كل من :-

١ - فريق عمل دار سوزلر.

٢ - مركز المكفوفين بكلية آداب جامعة اسكندرية.

وأتقدم بشكر خاص إلى فريق العمل المساعد :

١ - أمر الله علي توفيق.

٢ - أسماء علي محمد.

٣- إيمان البدري.

٤ - دكتور أحمد محمود فرح.

٥ - دكتور أحمد سمير أحمد.

٦ - دكتور مصطفى شعبان.

٧- دكتور أشرف عبد الرافع الدرفيلي.

فهرس الكتاب

تقديم ٥
مقدمة ١٠
التأمل ١٤
التحليل ١٤
التحقيق ١٨
الشهادة ١٨
تمهيد ١٩
تنبيه واعتذار ١٩
تعليق ٢٠
الأجواء التي كتب فيها البحث ٢٠
مفهوم الدواء ٢٢
العناصر التي يتركب منها الدواء والمادة الفعالة بها ٢٣
وصف الدواء ٢٣
كيفية استخدام الدواء والأعراض الجانبية ٢٤
الإمام النورسي معالج نفسي ٢٥
النية ٢٥
العوامل الشخصية ٢٧
أسلوب الرسالة ٢٨
عنصر الزمن ٢٨

السر العلاجي..... ٢٩
-العقل الباطن..... ٢٩
-التخيل وكيفية الوصول إلى العقل الباطن..... ٣٢
-ماهية الإلهام..... ٣٣
الوقفات..... ٣٦
-الوقفة الأولى:
المعنى والفارق بين المرض والبلاء والابتلاء..... ٣٦
-الوقفة الثانية:
الحكمة من الابتلاءات والأمراض..... ٣٩
-الوقفة الثالثة:
بين المحال والقدر ٤٤
جلسات نفسية..... ٤٨
-الجلسة النفسية الأولى:
علاج الوسوسة..... ٤٨
-الجلسة النفسية الثانية:
علاج الخوف ٥٤
-الجلسة النفسية الثالثة:
جرعات علاجية مكثفة..... ٥٨
-الجرعة الأولى ٥٨
-الجرعة الثانية..... ٦٠
-الجرعة الثالثة..... ٦٢
الجلسة النفسية الرابعة ٦٤
-برقيات عزاء وسلوان علاجية عظيمة الفوائد ٦٤

أولًا: العزاء إلى طفل..... ٦٥
ثانيًا: العزاء إلى الحافظ على..... ٧٢
الجلسات الخاصة:
-الجلسة الخاصة الأولى ٧٦
جلسة خاصة مع المعتنين بالمرضى ٧٦
-الجلسة الخاصة الثانية ٧٨
جلسة خاصة مع الأطباء ٧٨
-الجلسة الخاصة الثالثة ٨٠
جلسة مع الإمام سعيد النورسي..... ٨٠
جملة الفوائد..... ٨٦
خاتمة ٨٩
قائمة المصادر والمراجع..... ٩١
قائمة الشكر والتقدير ٩٢
فهرس الكتاب..... ٩٣

دع الصراخ يا مسكين، وتوكل على الله في بلواك

إنما الشكوى بلاء

بل بلاء في بلاء، وآثام في آثام وعناء

* * *

فبغير الله دنياك آلام وعذاب وفناء وزوال وهباء في هباء

فتعالَ توكل عليه في بلواك!

مالك تصرخ من بلية صغيرة وأنت مثقل ببلايا تسع الدنيا

* * *

تبسم بالتوكل في وجه البلاء، ليبتسم البلاء

فكلما تبسم صغر وتضاءل حتى يزول

بديع الزمان سعيد النورسي

ISBN 978-9-7770804-2-2